التدابير الوقائية من الحسد
دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة

Res from envy
An objective study in the light of the Noble Qur'an and the purified Sunnah

إعداد الدكتورة /

أحلام مُحَمَّد قنديل سيد

مدرس الحديث وعلومه بكلية التربية
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ،
كلية التربية ، جامعة طنطا ، جمهورية مصر العربية.

بحث مقدم إلى :

المؤتمر الدولي الثاني لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
موقف أهل السنة والجماعة من التيارات والمذاهب الفكرية
الجهود – المناهج – القضايا
المنعقد في يوم
١٠ محرم١٤٤٣هـ
١٨ أغسطس ٢٠٢١ م

التدابير الوقائية من الحسد دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة

أحلام مُحَمَّد قنديل سيد.
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، كلية التربية ، جامعة طنطا ، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: ahlam.sayed@edu.tanta.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان خطورة معصية الحسد، وشؤم آثارها على حياة الإنسان فرداً كان أو جماعة ، وبيان دور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في مقاومته والعمل على السلامة منه، والقضاء عليه وما يتولد عنه من آفات، والإرشاد إلى الآداب الإسلامية التي يجب أن نتبعها لِخَلْق المناخ الإسلامي النقي الطاهر، ولاقامة مجتمع متراص متحاب، يخلو من الحقد والحسد، والعداوة والبغضاء، ويسود فيه التواد والتراحم ، وذلك باتباع المنهج الوقائي الذي أقره الإسلام لغلق باب هذا المرض القلبي عملاً بمبدأ الدفع أسهل من الرفع ، والوقاية خير من العلاج، ولذلك حاولت أن أجيب عن تلك الأسئلة، ما معنى التدابير الوقائية ؟ وما حقيقة الحسد والعين وما الفرق بينهما؟ وما هي التدابير الوقائية التي قررها الإسلام لمقاومة الحسد ودواعيه؟

وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها هي أن دراسة التدابير الإسلامية الوقائية من الحسد كمرض من الأمراض الباطنية الخبيثة مما يساعد على الاحتراز منه، والتقليل من وقوعه، وكذا يساعد على وضع وسائل وأساليب ومقترحات مبنية على أساس علمي واضح لمعالجته وتطهير النفس وتزكيتها منه.

الكلمات المفتاحية: التدابير الوقائية – الحسد – القرآن – السنة – دراسة موضوعية

Res from envy
An objective study in the light of the Noble Qur'an and the purified Sunnah

Ahlam Mohamed Qandil Sayed.

Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Education, Tanta University, Arab Republic of Egypt.

Email: **ahlam.sayed@edu.tanta.edu.eg**

Abstract

This research aims to clarify the seriousness of the sin of envy, and its ominous effects on human life, whether individual or group, and to clarify the role of the Holy Qur'an and the pure Prophetic Sunnah in resisting it and working to be safe from it, eliminating it and the pests it generates, and guiding to Islamic morals that we must follow in order to create The pure and pure Islamic climate, and the establishment of a close-knit and loving society, devoid of malice, envy, enmity and hatred, and in which love and compassion prevail, by following the preventive approach that closes the door of this heart disease in accordance with the principle of payment is easier than lifting, and prevention is better than treatment. Those questions, what is the meaning of preventive measures? What is the reality of envy and the eye and what is the difference between them? What are the preventive measures decided by Islam to resist envy and its motives.

The most important findings it reached were that studying the Islamic preventive measures against envy as one of the insidious malicious diseases, which helps to guard against it and reduce its occurrence, as well as helps to develop means, methods and suggestions based on a clear scientific basis to treat it and purify the soul and purify it from it.

Keywords: Preventive measures - envy - Quran - Sunnah - objective study - Muslim

المقدمة

إن الحسد رذيلة من أكبر الرذائل وأخبثها، من اتصف بها أوردته المهالك وجرَّت عليه أعطاب الدنيا والآخرة وزينت له البغي والسلطان، والظلم والعدوان .

وهذا الحسد مرض نفسي، وداء قلبي، يحمل الإنسان على أن يتمنى زوال نعمة أخيه، فيحمل التاجر على أن يتمنى لأخيه الكساد والخسارة، ويحمل الصانع على أن يتمنى لزميله الفشل والعطلة، ويجعل صاحبه معذب النفس، كثير الهم والحزن، من كل خير يناله من ينافسه أو يسابقه، "وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ضعف الإيمان بالله، وبأن كل شيء بقضائه – سبحانه وتعالى– وقدره، فإن الله – عز وجل – قسم بين الناس معيشتهم في الحياة الدنيا، وقسم بين الناس مواهبه وبلاياه، فهذا رابح، وهذا خاسر، وهذا عامل وهذا عاطل، وهذا فقير وهذا غنى، وهذا ذكى وهذا غبى، وهذا سليم وهذا سقيم" ([1]).

وعليه، فإذا نما الحسد في القلوب، وغارت جذوره في النفوس، وتفرعت أشواكه، شلت زهرات الإيمان، وأذوت ما يوحي به من حنان وسلام، وتواد وتراحم، فهو يعمي عن الفضائل، ويضخم الرذائل، ويورد أصحابه إلى حال القسوة والعناد، والظلم والإفساد، فيقطعون أرحامهم، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل.

وفى قصة ابنى آدم – عليه السلام – نرى هذا المعنى واضحاً فإن حسد قابيل لهابيل كان على رأس الأسباب التي حملته وشجعته على قتل أخيه، وكان هذا القتل من الأخ لأخيه، هو أول جريمة قتل على ظهر الأرض.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم ما حدث بين ابنى آدم في قوله تعالى وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ

[1]) نور من القرآن والسنة، عبد الوهاب خلاف، دار الأنصار، القاهرة ، ص: ١٨٣ بتصرف يسير.

لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ (١).

ويكفى الحسد شؤماً أنه كان أول معصية وقعت على الأرض، حيث حسد إبليس آدم عليه السلام، وحمله حسده على عصيان أمر ربه – عز وجل – بالسجود لآدم تعظيماً وتكريماً وأخذته الأنفة والعزة بالإثم، حتى أصبح لعيناً رجيماً، يقول الله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ (٢).

ولخطورة معصية الحسد، وشؤم آثارها على حياة الإنسان فرداً كان أو جماعة فقد جاء الإسلام يتحسس النفوس بين الحين والآخر ليغسلها من أدران الحقد والحسد البغيض، وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو الحياة.

فالإسلام يهدف أول ما يهدف إلى إقامة مجتمع متراص متجاوب متحاب، يخلو من الحقد والحسد، والعداوة والبغضاء، ويتفشى فيه التواد والتراحم.

ومن أجل ذلك، سار الإسلام في مقاومة الحسد والعمل على السلامة منه، والقضاء عليه وما يتولد عنه من آفات ومساوئ على منهجين:

أحدهما وقائي (٣):ويراد بالوقاية البعد كل البعد عن أسباب الحسد وموجبات الوقوع فيه، فيحصن نفسه مثلاً من الجهل والفكر المنحرف بالعلم الشرعي المستقى من كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ويبتعد عن دواعي وأسباب الأمراض القلبية وبخاصة العداوة والبغضاء فهما من لوازم

---

١) سورة المائدة، الآيات: ٢٧ : ٣١.

٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

٣) مأخوذ من **الوقاية** ومعناها في اللغة: الكلاءة والحفظ، يقال وقاه الله وقاية: أي حفظه، وحماه وصانه، وفى التنزيل: " فوقاهم الله شر ذلك اليوم" ، وانتقيت الشيء: حذرته، والاسم: التقوى، والاتقاء: هو افتعال من الوقاية، وهو فرط الصيانة وشدة الاحتراس من المكروه. [يراجع: الصحاح، اسماعيل بن حماد ، تحقيق: العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٤هـ ، ولسان العرب،؛ لابن منظور، مادة (وقى)، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ،]، ومن خلال هذا التعريف **اللغوي يتبين أن المراد منها : صيانة النفس من الوقوع فيما نهى الله عنه، ومن التقصير فيما أمر الله به تعالى ، بقوله أو فعله** [يراجع : المراجع السابقة ، والمقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام ، مُحَمَّد سيد طنطاوي ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م ، ص: ٣١].

الحسد، وكذلك الكبر وعدم الرضا بقضاء الله – تعالى – ، ويحذر كل الحذر من حب الظهور واشتهاء المناصب والأموال، وينأى بنفسه عن الشح والبخل، وهكذا.

أما الشق الثاني: من منهج الإسلام في مقاومة الحسد فهو العلاج: ويراد به المبادرة إلى إزالة آثار الحسد عقب الوقوع فيه، والتردي في هوته.

ولقد أولى الإسلام هذين المنهجين عناية فائقة، فدعا إليهما عبر المصادر التشريعية من كتاب الله وسنة نبيه – ﷺ – في مواطن كثيرة، بعد أن أقفرت كل المناهج التي قطعت صلتها بوحي السماء من الهدى والرشاد في تهذيب وجدان الإنسان، وتصحيح سلوكه، وبعد أن أفلست كذلك في إصلاح أحوال المذنبين، وإصلاح أخلاق العصاة والمجرمين، وسلكت في ذلك كل السبل والطرق ، فلم تصنع فطرة ، ولم تُرَبِ خلقاً، ولم توجه سلوكاً، ليبقى الإسلام بأسلوبه القرآني، وطرحه الرباني ينمي فطرة الإنسان ويستصلح خطأها، بالوقاية تارة قبل الوقوع فيه، وبالعلاج تارة أخرى، حين يضل الفهم وتزل القدم وتقع في الإثم (١).

ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع: " التدابير الوقائية (٢) من الحسد "

دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة، تلك الأهمية البالغة والتي تتبين فيما يلي:

١– ذلك الدور الخطير الذى يقوم به الحسد في عصرنا الحاضر، فالفقير يحسد الغنى، والنساء يحسدن الرجال، والقبيحات يحسدن الجميلات، وهكذا مما يجعل بعض الأمة يكره بعضها الآخر ويتمنون لهم الشقاء، فالحاسد خلقه اللؤم، ولذته الوشاية بين الناس والوقيعة والدس بينهم، فلا ينفك يدس للرجل الناجح حتى يشوه سمعته لأجل أن يحل محله أو يجعل منه إنساناً فاشلاً مثله.

٢– أن الحسد من العقبات التي تحول دون تحقيق الألفة والمودة بين المسلمين، ومن المؤسف جداً أن فشا هذا الداء القلبي الخبيث بين المسلمين، فابتغوا الهوى وازدادوا طمعاً في المناصب، واشتهاءً للدنيا وحرصاً على زخارفها، فسهروا على التخاصم والتنافر، وناموا على التنازع والتحاسد والتدابر.

٣– ولأن الحسد موجود في كل بنى آدم ، فلابد لكى ننجو منه، ونخرج من ظلامه وسوء عقباه من معرفة أسبابه، وآثاره، ومدى خطورته على الفرد والأمة، وأنه مهلكة مدمرة، لا يتصور شر منه ولا أضر، وهذا

---

١) التربية الوقائية في الإسلام، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدرى، جامعة أم القرى ، جدة ، ط: ٤١٨هـ، ص: ٢٣.

٢) معنى التدابير: جمع تدبير، والتدبير من دبر الأمر وتدبره، ومعناه نظر في عاقبته ، أي: النظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر بمعنى: التفكر فيه. [يراجع: لسان العرب، لابن منظور، مادة (دبر)، ٥ : ٥٨، وتاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين السيد مُحَمَّد مرتضى الحسيني، د. ط، د.ت، مادة (دبر) ٣: ٢٠٠.] .

يدعو إلى التفكير الجاد في الوقاية منه وعلاجه، ويحتم علينا التأمل والبحث لتخليص النفس من خبثه ودرنه.

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث، فهو المنهج التحليلي الوصفي ، المتضمن العرض والوصف والتحليل مع الالتزام بضوابط البحث العلمي ، ومن ذلك:

أولاً: جمع النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة من مصادرها في كتاب الله – تعالى – وكتب الحديث المعروفة وتصنيفها حسب أبوابها وموضوعاتها تحت مبحث واحد.

ثانياً: معالجة تلك النصوص ودراستها بنظرة موضوعية لا تعنى بالتفاصيل والجزئيات بقدر ما تعنى بالمقاصد التي ترمى إليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والقضايا التي تطرحها، والعلاج الذي تقدمه لحل المشكلة موضوع البحث.

ثالثاً: تفسير النص القرآني من كتب التفسير المعتمدة، تفسيراً أتحرى فيه الدقة، والبعد عن الأقوال الشاذة الغريبة، وبإجمال دون تفصيل.

رابعاً: استنباط وتوضيح المعاني غير المباشرة التي ترمى إليها الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة.

خامساً: توثيق اقوال العلماء والمحدثين من كتب التفسير والحديث قدر الإمكان.

سادساً: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من الكتاب الكريم، وتخريج الأحاديث النبوية والآيات الواردة عن الصحابة والتابعين مع الحرص على اتباع المنهج العلمي في التخريج، وذكرت حكم العلماء على تلك الأحاديث .

وهذا ما يسعى إليه هذا البحث، لقناعة الباحثة بأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، وهو منهج الله القويم الذى ارتضاه لعباده.

خطة البحث :

هذا، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وفصلين وخاتمة وذلك على النحو التالي:

المقدمة: في أسباب اختيار الموضوع وأهميته، ومنهج البحث وخطته.

الفصل الأول: وفيه مبحثان: " حقيقة الحسد والعين وموقف الشرع منهما"

المبحث الأول: حقيقة الحسد، أنواعه، وبواعثه، وموقف الشرع منه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الحسد في اللغة واصطلاح العلماء.

المطلب الثاني: أنواع الحسد وأقسامه.

المطلب الثالث: دوافع الحسد وبواعثه.

المطلب الرابع: موقف الشرع الحكيم من الحسد.

المبحث الثاني: حقيقة العين وثبوتها شرعاً، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة العين في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: ثبوت العين وتأثيرها والفرق بينها وبين الحسد.

الفصل الثاني: "التدابير الوقائية التي وضعها الإسلام للوقاية من الحسد"، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: "الوقاية بالبعد عن أسباب الحسد ودواعيه"، ويشتمل على النقاط الآتية:

١– الوقاية بترسيخ الإيمان بالله – عز وجل – والرضا بقضائه وقدره.

٢– الوقاية بالعلم بأحكام الله وتكاليفه.

٣– الوقاية بالزهد في الدنيا ومتاعها الفاني.

٤– الوقاية بالتحلي بصفتي العفو والصفح.

٥– الوقاية بالتمسك بخلق التواضع ولين الجانب للمؤمنين.

٦– الوقاية بالالتزام بالكلام الطيب والقول الحسن..

٧– الوقاية بقطع جذور المعاملات الاقتصادية غير المشروعة.

٨– الطاعات ودورها في الوقاية من الحسد.

المبحث الثاني: "الوقاية بالأخذ بأسباب ووسائل التحرز من الحسد"، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل التحرز الخاصة بالحاسد، ويشتمل على النقاط الآتية:

١– اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء للتخلص من هذه الآفة.

٢– الدعاء للمحسود.

٣- الثناء على المحسود وبره، والبقاء على ما كان عليه مع أخيه من البشاشة والرفق والعناية والرعاية لحقوقه.

٤- استشعار الحاسد لنعم الله عليه وشكره عليها.

المطلب الثاني: وسائل التحرز الخاصة بالمحسود، ويشتمل على النقاط الآتية:

١- الصبر على الحاسد واحتمال أذاه.

٢- تحصين النفس بالاستعادة بالله من شر الحاسد .

٣- الاهتمام بتلاوة القرآن وتدبر معانيه.

٤- الإكثار من ذكر الله تعالى .

٥- اجتناب مجالسة الحساد وإظهار المحاسن أمامهم.

الخاتمة: ولخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

الفهارس والمراجع: وتشتمل على ما يلى: قائمة المصادر والمراجع – وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول

" حقيقة الحسد والعين وموقف الشرع منهما"

المبحث الأول

حقيقة الحسد، أنواعه، بواعثه، موقف الشرع منه

المطلب الأول

مفهوم الحسد في اللغة واصطلاح العلماء

مفهوم الحسد في اللغة:

هو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وربما كان مع ذلك سعى في إزالتها، يقال: حَسَده يحسده حسدًا وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبها هو، وقيل: الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة، فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه، وأصل الحسد: القشر، فكأن الحاسد يقشر النعمة عن المحسود ([1]).

مفهوم الحسد في الاصطلاح:

هناك توافق بين علماء اللغة وعلماء الشريعة في تعريف الحسد، فمداره على تمنى زوال النعمة عن الغير، وقد يتمنى أن تؤول إليه، وقد لا يتمنى، كما أنه قد يعمل بموجب حسده فيسعى لإزالة نعمة المحسود بالبغي عليه بالفعل أو القول، وقد لا يعمل ([2]).

والحق أن الحسد ليس قاصراً على تمنى زوال نعمة الغير، بل منه الفرح لزوال نعمة الغير، والارتياح لمصائب الناس، لأنه في حكم من كان يتمنى زوالها قبل زوالها، بل هو أشد قسوة من الذى تمنى زوالها، فقد يشفق ويتألم من كان يتمنى زوالها، إذا حصل المصاب، أما هذا الذى قسا قلبه، وخلا من المشاركة الوجدانية، ولم يحس بآلام الآخرين، فقد فَقَدَ خاصية الإيمان، وخلق المؤمنين، والحديث الصحيح

---

[1]) يراجع: لسان العرب، لابن منظور، مادة (حسد) ، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، مادة (حسد)، ص: ١١٧.

[2]) يراجع: الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبي عبد الله القرطبي، ٣٠ : ٤٧٨، مج ١٠، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لأبي حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د.ت، ١ : ١٦٦، ومجموع الفتاوى في الإسلام، لابن تيمية، حققه: فريد عبد العزيز، وأشرف جلال الشرقاوي، دار الحديث، د. ط، د.ت، ١٠ : ٢٦٥، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، دار الفرقان، ط:١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠، ص: ٤٨٥ – ٤٨٦.

يقول: " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى" ([1]).

ومن هذا أيضاً الحزن لحصول المؤمن على نعمة وخير فكأنه كان قبل حصولها يتمنى عدم حصولها، وتمنى عدم حصول النعمة يساوى تمنى زوالها بعد حصولها، وهذا النوع كسابقه، فقد خاصية المؤمنين وتسربل بأوصاف الكافرين، إذ يقول جل شأنه: إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ([2])([3]).

والذى يدل على أن حقيقة الحسد ما ذكرنا قوله – تعالى وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ([4])، فأخبر – عز وجل – أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد. وقوله – تعالى – ذاكراً حسد إخوة يوسف: إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ۚ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ([5]) فبين الله –تعالى– أن حسدهم له عبارة عن كراهتهم حصول تلك النعمة له ([6]).

وتبين لنا من هذا العرض، أن اللغة والشريعة يتفقان في تعريف الحسد بأنه كراهة النعمة على المحسود، وحب زوالها عنه، وكذا الفرح لزوالها والحزن لحصولها له، وربما كان مع ذلك سعى في إزالتها

---

[1]) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب/ باب: رحمة الناس بالبهائم، ح رقم (٦٠١١)(٤/١٤٨) واللفظ له، ومسلم في كتاب: البر والصلاة والآداب/ باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح رقم (٢٥٨٦)(٤/٣٠٥) مثله ، كلاهما عن النعمان بن بشير مرفوعاً.

[2]) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

[3]) الحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة، أ.د/ موسى شاهين لاشين، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، ص: ٤١٢ – ٤١٣.

[4]) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

[5]) سورة يوسف، الآية: ٨ ، ٩.

[6]) يراجع: التفسير الكبير، للإمام/ فخر الدين الرازي، ٣ : ٢٢٨، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣ : ٢٢٢،.

المطلب الثاني

أنواع الحسد ومراتبه:

ذكر ابن تيمية – رحمه الله – أن الحسد قسمان:

أحدهما: الكراهة لما يراه من حسن حال المحسود والنعمة عليه مطلقاً، وقال: فهذا هو الحسد المذموم.

والثاني: أن يكره فضل هذا الشخص عليه، فَيُحبُّ أن يكون مثله أو أفضل منه، فهذا حسد وهو الذى سموه الغبطة، وقد سماه النبي – ﷺ – حسداً في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر – رضى الله عنهما – أنه قال: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا " (١) (٢).

هذا، وقد قسم العلماء هذين النوعين من الحسد إلى مراتب، وذلك بحسب درجته التي تلتهب فى النفس فينعكس على السلوك والتصرفات.

فالقسم الأول وهو الحسد المذموم المنهى عنه: فالناس فيه على ثلاثة مراتب:

***المرتبة الأولى*: أن يحب الحاسد زوال نعمة من نعم الله عن المحسود كارهاً لوجودها، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه، وهذا غاية الخبث.**

***المرتبة الثانية*: أن يحب زوال النعمة عن المحسود، وتنتقل إليه، لرغبته في تلك النعمة.**

المرتبة الثالثة: أن يسعى الحاسد في زوال نعمة المحسود، فيسلك الأسباب التي تزيل تلك النعمة بالبغي عليه بالقول أو الفعل، ثم منهم من يسعى في نقل ذاك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالة النعمة عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهذا الحسد شرها وأخبثها، وهو كان ذنب إبليس حيث حسد آدم عليه السلام.

---

[١]) أخرجه البخاري في كتاب: العلم/ باب: الاغتباط والحكمة، ح رقم (٧٣)(١/٥٧ – ٥٨) واللفظ له ، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، ح رقم (٨١٦) ، مثله ، كلاهما عن عبد الله بن مسعود.

[٢]) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠ : ٢٦٥ مج (٥).

أما القسم الثاني من الحسد: وهو الحسد المطلوب والمسمى بالغبطة المشروعة، فالناس فيها على ثلاثة مراتب (١).

***المرتبة الأولى*: أن ينظر إلى ما عند الغير من نعمة دنيوية، فلا يتمنى زوالها، بل يفرح بها ويُسر لها، بل ويتمنى لصاحبها المزيد منها، ويعمل على تكثيرها، وهذه الحالة كثيرة الوقوع من الآباء بالنسبة لنعم الأبناء، فإن الإنسان لا يحب أن يعلو عليه غيره إلا أن يكون ابنا له، وقد تقع أحياناً بين المتحابين حباً صافياً عالياً، وهي مطلوبة من المؤمن للمؤمن المستحق، وهي ظاهرة في خلق الإيثار الذى استشعر به أصحاب رسول الله – ﷺ – وأثنى الله – تعالى – به على الأنصار بالنسبة للمهاجرين فقال – تعالى :**

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ (٢).

***المرتبة الثانية*: أن ينظر إلى ما عند الغير من نعمة أخروية، من دين وعبادة وطاعة وصلاة وصيام وقراءة قرآن وذكر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر واستقامة على حدود الله، فلا يتمنى زوال هذه النعمة عن صاحبها، وإنما يتمنى لنفسه مثلها، وهذه غبطة محمودة كما في حديث: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: " (٣) ولها أجر كبير.**

وقد كان السلف الصالح يفعل ذلك، فقد سابق عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق – رضى الله عنهما – في التصدق بصدقة، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، يَقُولُ :أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ :اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ :فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ :وَسَلَّمَ :" مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ «قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ» :يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ «قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ :لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا" (٤).

---

(١) يراجع: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠ : ٢٦٥، ٢٦٨، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ص: ٤٨٧ ، و فتح الباري، لابن حجر، ١ : ١٦٧، سبل السلام، للصنعاني، ٤ : ٢٣٦ ، والحصون المنيع للدفاع عن الشريعة، أ.د/ موسى شاهين لاشين، ص: ٤١٧ – ٤٢٠.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) الحديث صحيح، سبق تخريجه، ص: ١٣

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب: المناقب/ باب: في مناقب أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، ح رقم (٣٦٧٥)(٤٣٣/٥)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في كتاب: الزكاة/ باب: في الرخصة في ذلك، ح رقم (١٦٧٨)(٧٢٨/٢).

وفى هذه المرتبة لا ينبغي على الإنسان الوقوف عند دائرة التمني، دون محاولة السعي لتحصيل مثل هذه النعمة مع القدرة على العمل لها، لأن هذا عجز وتواكل لا يقره الإسلام، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ"([1]).

المرتبة الثالثة: أن ينظر إلى ما عند الغير من نعمة دنيوية، فلا يتمنى زوالها عنه، ولا يعمل على إزالتها عنه، ولا على تحويلها لنفسه بالقول أو الفعل، ولا يتمنى زيادتها لأخيه، ،إنما يتمنى مثلها أو أحسن منها بالطريق المشروع، وهذا مباح، بل مطلوب وممدوح في الإسلام لأنه أساس عمارة الأرض وتقدم الإنسانية ورقيها وحضارتها.

وعليه، فالحسد بهذا المعنى غير مذموم بل مطلوب في بعض الأحيان خاصة كلما عظمت النعمة المغبوطة، فالتنافس في الطاعات يعالج كثيراً من الأمراض ويرتفع بأرواح المتنافسين، ويطهر قلوبهم، ويصلح الأرض ويعمرها للجميع بينما التنافس في مطالب الدنيا ومعاصيها يدع الأرض مستنقعا ويبساً تتحارب فيه الأممً.

وهكذا، بين لنا الإسلام، حقيقة الحسد وأنواعه، وأوجد له بديلاً فأباح الغبطة، وفتح مجالاً شريفاً للمنافسة، ليسد منافذ الحسد ومداخله، لأنه من الأمراض المهلكة، ومن الأعمال الهدامة الخطيرة، التي تقوض بنيان المجتمع وتشتت شمل الأمة وتفرق جمعها.

المطلب الثالث

دوافع الحسد ودواعيه

ينشأ مرض الحسد الوبيل لأسباب شتى مجتمعة أو منفردة، ويجب على كل مسلم الوقوف على هذه الأسباب، والالمام بها ، لأن العلاج السليم لا يكون إلا بعد معرفة أسباب الداء ودواعيه، وتختلف هذه الأسباب من إنسان إلى آخر، ومن وقت إلى وقت آخر، ومن أهم هذه الأسباب ما يلى:

أولاً: ضعف قوى الإيمان في القلوب:

---

[1]) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع/باب: رقم (٢٥)، ح رقم (٢٤٥٩) (٤ / ٣٥٦) ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن، وأحمد في مسنده، ح رقم (١٧٠٥٩)(٢٧٢/١٣) كلاهما عن شداد بن أوس مرفوعاً.

فالقلب الممتلئ إيماناً بالله – تعالى – لا يمكن أن يصيبه مرض الحسد ([1])؛ إذ إن الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان الكامل يقتضى خلاف ذلك، وهو أن يحب أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير كما قال النبي – ﷺ – : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "([2])، والمؤمن صادق الإيمان يأمره إيمانه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، ويسوؤه ما يسوء أخاه المؤمن، دل على ذلك قوله – ﷺ – : " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " ([3]).

وهذا، إنما يحصل بسلامة الصدر من الحقد والحسد؛ إذ لا يجتمع الإيمان مع حسد كما أشار إلى ذلك النبي – ﷺ – بقوله: " لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ" ([4]).

وعليه، فالحسد آية من آيات ضعف قوى الإيمان بالله في القلوب، وأنه سبحانه يعطى ويمنع، ويضيق ويوسع، ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة كما قال – تعالى – ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾([5])، فقد قسم سبحانه بين الناس معيشتهم في الحياة الدنيا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود: " إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ .

فمن حسد غيره على ما آتاه الله من فضله، فقد اعترض في الحقيقة على قضاء ربه، وتشكك في حكمته وعدله.

---

[1]) الحديث النبوي وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط: ٤، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص: ٣١١.

[2]) الحديث صحيح، تقدم تخريجه، ص: ١١.

[3]) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان/ باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح رقم (١٣)(٢٣/١) ، ومسلم في كتاب: الإيمان/ باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ح رقم (٤٥)(١ / ٢١٠) بلفظ البخاري زاد: " أو قال لجاره) بعد لأخيه". كلاهما عن أنس بن مالك مرفوعاً

[4]) أخرجه النسائي، في كتاب: الجهاد/باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (١٣/٦)، بلفظ: " لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد" عن أبي هريرة مرفوعاً، وابن حبان في صحيحه في كتاب: السير/ باب: فضل الجهاد، ح رقم (٤٦٠٦)(٤٦٦/١٠)، وعزاه المنذري له في الترغيب والترهيب في كتاب: الأدب/باب: الترهيب من الحسد وفضل سلامة الصدر، (٥٤٦/٣) وسكت.

[5]) سورة القصص، الآية: ٨٢.

ومن هنا يجب على كل إنسان صيانة نفسه دائماً حتى لا يتمكن ضعف الإيمان منه، ويبعده عن طريق السالكين العابدين، وليعلم أنه لا يصير مؤمناً حقاً حتى يخلو قلبه من الحسد، وتصفو نفسه من دائه ويبتعد عن أسبابه ودواعيه فيحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ثانياً: بغض المحسود لفضيلة فيه:

فالحسد من لوازم البغض والعداوة، لا يفارقهما، فمن أتى فضيلة أو عملاً مجيداً، فاستحق من أجله الشكر، أو الارتقاء من منزلة فوق منزلة الحاسد، أو أن يظهر من المحسود فوق في أمر فيعجز الحاسد عن متابعته فيه، أو اللحاق به، امتلأت نفسه بالكراهة له، والعداء والغضب عليه، وذلك العداء يولد الحقد، والحقد يقتضى التشفي، بل ويدعو إلى الانتقام، فإن عجز المبغض عن التشفي بنفسه أحب أن يتشفى له الزمان، فإن أصاب عدوه آفة وبلاء فرح، وإن مسته نعمة أو مسرة ساءته.

وهذا النوع من الحسد هو الذى وصف الله به المنافقين فكشف عن مكائدهم وعرى أحقادهم فقال – تعالى – : هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ (١).

فالحاسد لا يريد الخير لغيره، وهو بهذا يملأ قلبه بالكراهية والحقد من غير أن يعود إليه شيء، وهذا ما حمل أهل الكتاب على حسد النبي – ﷺ – والمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وهو الإيمان، فقال – تعالى – مبيناً حسدهم منبهاً لشرهم وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ (٢)

فالحاسد مبغض للنعمة على من أنعم الله عليه بها، كاره لتفضيل الله غيره بها، [ومن المعلوم أن هذا النوع من الحسد أكثر ما يكون بين قوم تجمعهم روابط عمل واحد ويسعون لهدف واحد، ويتزاحمون

---

١) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٩ ، ١٢٠.

٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

على غرض واحد كالذي يكون بين أرباب المهنة الواحدة، فقد يتنازعون ويتنافرون ويتباغضون ثم يتحاسدون] (١).

يقول ابن تيمية – رحمه الله – (٢)**:" وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال، إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر، ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر عليه كحسد أخوة يوسف، وكحسد ابنى آدم لأخيه "** (٣).

وعليه، فمن أهم بواعث الحسد وأشد دواعيه : ما يجده بعض الناس في نفوسهم من الكراهية لنعم الله على عباده، فتراه دائماً ساخط على قضاء الله، ونظامه في خلقه، كارهاً لما خص به غيرهم من نعم يرون أنهم أحق بها.

ومن أجل ذلك فقد حذرت السنة المطهرة من تداول دواعي البغض وتعاطى أسبابه، لأنه منشأ الحسد، ولازمة من لوازمه، وربما أفضى إلى التنازع والتدابر والتقاطع، فعن أنس – رض الله عنه – قال: قال النبي – ﷺ – : " لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ " (٤).

كما نبه النبي – ﷺ – أمته إلى أن العداوة والبغضاء داء عضال، ومنبعٌ للشرور والآثام، لما يتولد عنهما من داء الحسد الوبيل بآثاره السيئة وعواقبه الوخيمة التي تفرق الجمع وتمزق الصف، وتوقع

---

١) يراجع: من بلاغة النبوة، د. عبد القادر حسين، دار التراث العربي، القاهرة، د. ط، د.ت، ص: ٦٣ – ٦٤ بتصرف يسير.

٢) مجموع الفتاوى، ١٠: ٢٧٣، مج ٥.

٣) أما حسد أخوة يوسف، فإنهم حسدوا يوسف لكون أن أباهم يعقوب – عليه السلام – كان يؤثر يوسف بالحب والقرب دون بقية إخوته فأوجد ذلك نوعاً من حقد الأخوة على يوسف وكراهيتهم له ... وكان أن دبروا له ما دبروا كما ذكر الله – تعالى – عنهم: " اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين " ، وهذا يعطى الآباء درساً في كيفية معاملة الأبناء وضرورة إشعار الجميع بأنهم سواء، حتى لا تتولد مشاعر البغض والكراهية بينهم ومن ثم الحسد القاتل.، وأما حسد أحد ابنى آدم لأخيه فقد سبق الحديث عنه في المقدمة.

٤) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب/ باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ح رقم (٦٠٦٥)(١٦٥/٠٤) ، وفى باب الهجرة، ح رقم ٠(٦٠٧٦)(١٦٧/٤ – ١٦٨) ، ومسلم في كتاب: البر والصلة والأدب/ باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، ح رقم (٢٥٥٩)(٢٨٨/٤) ، ح رقم (٥٥٩)(٢٨٩/٤) كلاهما عن أنس بن مالك .

أهلها في المهالك فقال – ﷺ – : "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ" ([1]).

ثالثاً: التكبر وتعزز النفس وترفعها عن الانقياد لغيرها:

فالكبر مرض من أخبث الأمراض القلبية، ورذيلة من أكبر الرذائل الاجتماعية، الناجمة عن ضعف الإيمان بالله – تعالى – القائم على معرفته – سبحانه – بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله العظيمة الحكيمة، فالعزة لله – وحده – الكبير المتعالي، فإذا تكبر الإنسان كان بمنزلة من ينازع الله – تعالى – رداءه، فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – : " الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ" ([2]).

وما منع إبليس من السجود لآدم – عليه السلام – وهو سجود تكريم لا سجود عبادة إلا الكبر، واستعظام النفس واستحقار الغير، ومن ثم الحسد، فأبت نفسه الانقياد لأمر الله – تعالى – ودعته للترفع على آدم وازدرائه، واستصغاره، فاستحق اللعنة والطرد.

وفى ذلك يقول الله – تعالى وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ([3])، وفى سورة (ص) يتحدث الله – سبحانه – عن استكبار إبليس فيقول فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ([4]).

فإبليس – لعنه الله – لما أمره الله – تعالى – مع الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً وتكريماً سجد الملائكة امتثالاً لأمر الله، ولكن إبليس أبى واستكبر ولج في غيه، وعلل ذلك بأنه خير منه، وظن أن النار أفضل من الطين.

---

[1]) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، ح رقم (٢٥١٠)(٣٧٩/٤) واللفظ له ، وأحمد في مسنده، ح رقم (١٤١٢)(١٩٠/٢) ، مثله كلاهما عن الزبير بن العوام مرفوعاً.

[2]) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والأدب/ باب: تحريم الكبر، ح رقم (٢٦٢٠)(٣٢٧/٤ – ٣٢٨) بنحوه، وأبو داود في كتاب: اللباس/ باب: ما جاء في الكبر، ح رقم (٤٠٩٠)(١٧٥٤/٤ – ١٧٥٥) واللفظ له، وابن ماجه في كتاب: الزهد/ باب: البراءة من الكبر والتواضع، ح رقم (٤١٧٤)(٤٩٣/٣) مثله، وأحمد في مسنده، ح رقم (٩٦٦٤)(٢٨٧/٩) مثله.

[3]) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

[4]) سورة ص ، الآية: ٧٣

وكيف لا يملك الحسد والبغي قلبه، وهذا الداء العضال (الكبر) يكفى وحده في رد الحق والترفع عن أن يعلو على الحاسد غيره، وها هو أحد المستكبرين من سادات قريش الوليد بن المغيرة يستمع إلى القرآن فيرق قلبه ثم بعد ذلك يستكبر عن الاقرار بالحق كفراً وعناداً، ويتنزل في شأنه قوله تعالى : ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ (١).

وتأتى السنة المطهرة أيضاً لتقص علينا قصة هذا المعاند في جحود الحق، وكيف ولى عن الإيمان بما أنزل الله من كتابه والتصديق به، مع علم منه بأنه كلام الله – تعالى – وأن مُحَمَّداً – ﷺ – نبي لله صادق، وهو في ذلك يعاند ويجحد نبوته حسداً له وبغياً عليه – ﷺ ،فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ :يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا .قَالَ :لِمَ؟ قَالَ :لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا .قَالَ :فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ : " فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ" قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ .قَالَ :فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ " :هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) " (٢).

ومن أجل ذلك توعد الله تعالى المتكبرين بالعذاب الأليم فقال: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣).

---

١) سورة المدثر، الآيات: ١١ : ٢٦.

٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: التفسير/ تفسير سورة المدثر، ح رقم (٣٩٢٣)(٣/١١٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٨

كما نهى النبي – ﷺ – عن الكبر، وحذر المتكبرين من الحرمان من نعيم الجنة، فعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنهما – عن النبي – ﷺ – قال: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ «قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ» :إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ " (١).

كما توعد النبي – ﷺ – المتكبرين بالعذاب الأليم فقال – ﷺ – : " تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ :أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ :مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ :أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ :إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا " (٢).

ولعل السبب في هذا الوعيد أن الكبر سبب من أسباب كثير من الرذائل الاجتماعية، والأمراض القلبية البغيضة، وباعث من أقوى بواعثها، والتي على رأسها الحسد أصل كل خطيئة، فالكبر منشأ الحسد ومن أعظم بواعثه وأقوى دواعيه، ذلك لأن المتكبر يستعظم نفسه، ويقدرها فوق قدرها، ويظن نفسه شيئاً آخر فوق البشر، فيستحقر غيره، وتأبى نفسه الانقياد لهم ، وتدعوه إلى الترفع عليهم، فيزدريهم ويستصغرهم، ويصعر خده لهم ويمشى على الأرض مختالاً فخوراً، وقد نهى الله – عز وجل – عن هذا السلوك فقال – تعالى –: وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ (٣)

ومما سبق يتضح لنا أن الكبر من أهم العوامل التي تجلب الحسد لأن الإنسان إذا شعر بالاستعلاء والأفضلية على غيره من البشر بما يتمتع به من مزايا جسدية أو مالية أو مناصب دنيوية أو منازل علمية؛ فيحس في نفسه بالشموخ، وأنه في العلياء، وغيره دونه وإن كانوا أفضل منه بما فضلهم الله به عليه فإنهم قد يستنكرون ذلك منه ولا يتحملونه، ويضمرون له من الحقد والحسد ما يتمنون به زوال

---

١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان/ باب: تحريم الكبر وبيانه، ح رقم (٩١)(١/ ٩٩ –١٠٠) ، **وقوله: " بطر الحق** " أي: دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، وقوله: " غمط الناس " أي: احتقارهم. (شرح النووي على صحيح مسلم، لمحى الدين أبى زكريا النووي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: ١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ٢: ٩٠).

٢) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن/ باب: قوله: " وتقول هل من مزيد، ح رقم (٤٨٥٠)(٣/٤٩٣) ، ومسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح رقم (٢٨٤٦)(٤/٤٩٢) كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً.

٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.

ذلك المنصب أو فقد تلك المنزلة، وغرضهم من ذلك أن يدفعوا ذلك الكبر ويحطموا هذا الشموخ والاستعلاء.

رابعاً: الانشغال بالدنيا وحب المال والجاه والسلطان:

ومن أقوى بواعث الحسد وأسبابه والتي تحول دون سلامة الصدر ونقاء القلب منه الانشغال بالدنيا والتنافس على أمورها والتفاني في الحصول عليها حتى تصبح الدنيا هي الدافع الرئيسي لحركة الإنسان وتفكيره وهمه، فتصيبه الغفلة والإعراض عن أمور الآخرة، وينسى ربه فينسيه الله نفسه، وقد حذر الله – تعالى – المؤمن من ذلك فقال وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ (١)، وقال – تعالى - : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ (٢)، وقد أشار الله إلى ذلك – أيضاً في قوله – تعالى – : مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ (٣).

كما حذرنا النبي – ﷺ – من التعلق بالحياة الدنيا ولهوها فقال – ﷺ – : "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ" (٤)، ولقد ورد عن رسول الله – ﷺ – أحاديث كثيرة تحذر المسلمين من فتنة المال والجاه والأولاد، منها قوله – ﷺ– : "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ" (٥)، فقد دعا النبي – ﷺ – بالعثرة على طالب الدنيا، الحريص على جمع الأموال، والقائم على حفظها، حتى صار خادماً لها وعبداً " (١).

---

١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

٢) سورة فاطر، الآية: ٥.

٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

٤) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعار والتوبة/ باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، ،اكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء، ح رقم (٢٧٤٢)(٤/٤٠٤) واللفظ له ،عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

٥) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد/ باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح رقم (٢٨٨٧) (٢/٤٥٩) بلفظه مطولاً ، ، وفى كتاب الرقاق/ باب: ما تبقى من فتنة المال، ح رقم (٦٤٣٥)(٤/٢٨٦) مختصراً، والترمذي في كتاب: الزهد/ باب: ٤٢، ح رقم (٢٣٧٥)(٤/٣١٥) بلفظ (لعن) بدل (تعس) مختصراً، وابن ماجه في كتاب: الزهد/ باب/ المكنزين، ح رقم (٤١٣٦)(٣/٤٨٠)

ومن المؤسف أن فشا بين المسلمين التنافس على الدنيا، والحرص على المناصب والجاه والمال، بحيث عميت قلوبهم عن الحق ونسوا واجبات الدين وتركوا فرائض الإسلام وانغمسوا في الشهوات.

وقد بين النبي – ﷺ – أن هذا الداء سيصيب أمته، فيقودهم إلى التحاسد وهو داء قلبي عضال خطير، ينتج عنه ويتفرع منه كثير من المعاصي، وقد يؤدى بصاحبه إلى البغي والظلم، فقال – ﷺ – : "سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ «فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ : الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ » (٢).

وَعنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ :أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ :كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الآيَةِ؟ قَالَ :أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ :قَوْلُهُ تَعَالَى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) [قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ «قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المُبَارَكِ :وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ – قِيلَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ .قَالَ : بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ» (٣).

مثله سواء، وقوله (**تعس**): دعاء عليه بالهلاك، **وقوله (الخميصة)**: ثياب خزا وصوف معلمة، وقوله (**انتكس**): انقلب على رأسه وهذا دعاء عليه بالخيبة، لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر، وقوله (إذا شيك): شاكته الشوكة إذا دخلت جسمه، وقوله (**فلا انتقش**): الانتقاش إخراج الشوكة من الجسم، [يراجع: جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لابن الأثير ، تحقيق : مصطفى أحمد الباز، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، ٩ : ٤٩٥.]

[١]) براجع: فتح الباري، لابن حجر، ١١ : ٢٥٩ بتصرف يسير.

[٢]) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: البر والصلة، ح رقم (٧٤٦٩) (٢١١٧ – ٢١١٨)، عن أبي هريرة مرفوعاً ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ح رقم (٣٦٥٨)(٦٨٢/١).

[٣]) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة المائدة، ح رقم (٣٠٥٨)(١٠٢/٥) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأبو داود في كتاب: الملاحم/ باب: الأمر والنهى، ح رقم (٤٣٤١)(١٨٥٥/٤ – ١٨٥٦) مثله سواء، وابن ماجه في كتاب: الفتن/ باب: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، ح رقم (٤٠١٤)(٤٢٣/٣) بنحوه، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: الرقائق، ح رقم (٨٠٧٧) (٥/ ٢٢٦٥) بنحوه ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

فالرسول – صلوات الله وسلامه عليه – لم يكن يخشى على أصحابه فتنة الفقر والإقلال ولكنه كان يخشى عليهم ما يبسط عليهم من زينة الدنيا وزهرتها فيؤدى بهم ذلك إلى استعذاب مذاقها، والركون إليها، والتنافس فيها بما هو مشروع حيناً وبما هو ممنوع أو مشبوه أحياناً أخرى، وبما يجره ذلك من تدابر وتباغض وتحاسد ومن ثم تطاحن وتقاتل، حتى ليصبح المال والمنصب والجاه هو منتهى غايات بعض الناس، ومبلغ آمالهم، وربما بذلوا في سبيل الظفر به والاستحواذ عليه الدين والشرف، وقطعوا لأجله ما أمر الله به أن يوصل.

هذا، ومن المؤسف جداً أن انتشر هذا الداء على مستوى الأفراد والجماعات بين الخاصة والعامة، وكل من تجمعهم جامعة عمل واحدة أو حرفة واحدة فأفسد نفوسهم، وملأ بالأحقاد قلوبهم، حيث تنافس أولئك في حطام الدنيا وفتاتها، من شرف وجاه ومال وسلطان؛ مما أدى بهم هذا التنافس إلى تبادل العداوة والبغضاء فسرى فيهم الحسد هذا المرض النفسي والداء القلبي والذى حملهم على أن يتمنى كل منهم زوال نعمة أخيه.

خامساً: البخل وشح النفس ([1])

فمن أخطر الأسباب إثارة للحقد والحسد والكراهية، البخل وشح النفس من الأغنياء والذى يحملهم على منع حقوق المال من الزكاة والصدقات والبر والاحسان، بل والظلم في تحصيله وإنفاقه.

ومن المعلوم أن النفس البشرية أشربت حب المال حباً جماً، وتعلقت به تعلقاً استولى على جميع مشاعرها، وصدق الله العظيم إذ يقول: وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ([2])، وقال: وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾([3])، وقال – عز وجل - :قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ([4]).

وقد كشفت السنة النبوية الغطاء عن هذه النزعة الطبيعية والفطرة البشرية فوصفت حب الإنسان للمال وتكالبه في تحصيله، وحرصه على امتلاكه، فعن أنس – رضى الله عنه – قال رسول الله –

---

[1]) **البخل**: هو امتناع البذل من كل الوجوه ، **أما الشح**: فهو بخل مع حرص، قال ابن الأثير: الشح أشد من البخل وهو أبلغ من المنع ومن البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف [يراجع: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص: ٢٥٦، والنهاية لابن الأثير، مادة (ش ح ح).

[2]) سورة العاديات، الآية: ٨.

[3]) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

[4]) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.

ﷺ – : "يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ" (١)، وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لاَبْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ" (٢).

وقد يصل هذا الشح الهالع والحرص البالغ على المال بصاحبه إلى التعدي على أموال غيره وممتلكاته، فيأخذ مال أخيه ظلماً وقهراً وعدواناً، وهذا السلوك المشين قاصمة الظهر، إذا فشا في الأمة كان نتيجته انتشار الحقد والحسد والكراهية وانهيار روح التعاون بين أفراد المجتمع، وتعرض البخيل للهلاك والخسران المبين.

ومن أجل ذلك فقد حذرنا النبي – ﷺ – مبيناً لنا أضراره على المجتمع فقال – ﷺ – : "اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ من كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ" (٣).

وبمثل هذا نفر الإسلام من البخل والشح، لأنه أحد الأسباب المؤدية إلى البغضاء والحسد والفساد وسفك الدماء، ولأن وباله وخطره يعود على البخيل ومجتمعه.

فبخل الأغنياء وشح نفوسهم المطاع، وما يتفرع عنه من ظلم في تحصيل المال وإنفاقه يثير لدى الفقراء كوامن الحقد والحسد، وربما زجت بهم الحاجة والفاقة – إذا لم يكن يردعهم الوازع الديني إلى السلب والنهب والقتل، وكل ذلك محظور ومنهى عنه ومعذب عليه فاعله أشد العذاب، فقد قال – تعالى – : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠ (٤).

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقائق/ باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر العمر، ح رقم (٦٤٢١)(٤ : ٢٨٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب: الزكاة/ باب: كراهة الحرص على الدنيا، ح رقم (١١٥ – ١٠٤٧)(١٥٣/٢) مثله.

٢) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق/ باب: ما يتقى من فتنة المال، ح رقم (٦٤٣٦)(٢٨٦/٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب: الزكاة/ باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، ح رقم (١٠٤٩)(١٥٤/٢ – ١٥٥) بنحوه.

٣) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: تحريم الظلم، ح رقم (٢٥٧٨)(٣٠١/٤) واللفظ له، وأحمد في مسنده، ح رقم (١٤٣٩٨)(٤٥٥/١١) بنحوه، كلاهما عن جابر بن عبد الله.

٤) سورة النساء، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

سادساً: الجهل

إن من أغلظ أسباب الحسد ودواعيه جهل المرؤ بحقيقة الحسد، وموقف الشرع الحكيم منه، وآثاره وأخطاره وآفاته التي قد تلتهم الحسنات وتؤدى بالحاسد إلى أسوأ المآلات، [فكثير من الناس لا يعرف أن الحسد من أخلاق اليهود وأنه داء الأمم السابقة، ولا يعرف شدة نهى الإسلام عنه، وأن الحسد لا يقترن بالإيمان، وأن قدر الحاسد ينقص عند مجتمعه، نتيجة ما يظهر عليه من كره المنعم عليهم، فينحرف الناس عنه، ويشيرون إليه بآفته وخصاله الذميمة، تجنباً له وكرهاً لرذيلته، وما يترتب على ذلك من الإثم، والتقاطع، والتدابر، والتباغض ومن ثم التفكك الاجتماعي] (١).

وعليه، فجهل المسلم بما يضر بتوحيده وعقيدته، ومجتمعه من الأعمال القولية والفعلية، من أصلب العوائق وأثخن الحوائل دون طهارة القلوب، ونظافتها من أمراضها كالرياء والعجب، والكبر، والفخر، والفرح والسرور بأذى المسلمين والشماتة بمعصيتهم ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمنى زوال ذلك عنهم.

ولا صلاح للإنسان إلا بالعلم بهذه الآفات والآثار المترتبة عليها، ومحاولة تجنبها أو التوبة منها، وإلا فقلبه فاسد، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله كما قال– ﷺ – : " أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً :إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ" (٢).

ولاشك أن هذه الآفات إنما تنشأ من جهل الإنسان بحقيقة عبودية القلب، ومن ثم ترك القيام بها على الوجه الذى يرضاه الله تعالى؛ فوظيفة العبودية إنما تقع على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلأ بأضدادها ولابد، وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها.

المطلب الرابع

موقف الشرع الحكيم من الحسد

إن من حقائق الإيمان وعلوم المعارف التي دلت عليها آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي – ﷺ – وإجماع علماء الأمة أن الحسد بمعناه الحقيقي الذى سبق وأن بيناه (١)، وهو تمنى زوال نعمة الغير

---

١) مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، أ.د/ خالد بن حامد الحازمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط: ٢، ١٤٢٦هـ، ١١٠ – ١١١.

٢) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان/ باب: فضل من استبرأ لدينه، ح رقم (٥٢)(١/٢٤) واللفظ له ضمن حديث طويل، ومسلم في كتاب: المساقات/ باب: أخذ الحلال وترك الشبهات ، ح رقم (١٥٩٩) (٣ / ٧٤ – ٧٥) كلاهما عن النعمان بن بشير.

وكذلك مجرد كراهة النعمة على الغير وإن لم يتم زوالها ([٢]) حرام لأنه اعتراض على الله تعالى في حكمته وقدره،

يقول الإمام فخر الدين الرازي ([٣]) – رحمه الله – : " فمن تمنى زوال ذلك فكأنه اعترض على الله – تعالى – فيما هو المقصود بالقصد الأول من خلق العالم وإيجاد المكلفين، وأيضا ربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعم من ذلك الإنسان فيكون هذا اعتراضاً على الله وقدحا في حكمته ، وكل ذلك مما يلقيه في الكفر وظلمات البدعة، ويزيل عن قلبه نور الإيمان، وكما أن الحسد سبب للفساد في الدين، فكذلك هو السبب للفساد في الدنيا، فإنه يقطع المودة والمحبة والمولاة، ويقلب كل ذلك إلى أضدادها، فلهذا السبب نهى الله عنه فقال: وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ([٤]).

فالحسد خلق ذميم مضر بالبدن، مفسد للدين، أمر الله – عز وجل – المسلم بأن يعتصم به ليحميه من أذى الحاسد والذى وصفه – سبحانه – بأنه من شرار الخلق كما في قوله تعالى: وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ([٥]).

وقد تورط في هذا الداء العضال اليهود فصار من أخص صفاتهم، ومن أخلاق المغضوب عليهم، فقال تعالى في وصفهم : وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ

---

[١]) تقدم الحديث عنه سابقاً في حقيقة الحسد، ص:١٠-١٣.

[٢]) **قال ابن تيمية –رحمه الله–** : " وقد قال طائفة من الناس: إنه تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، ... والتحقيق: أن الحسد هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود وإن لم يتمنَّ الزوال. (مجموع الفتاوى، ١٠ : ٢٦٥)

[٣]) التفسير الكبير ، للإمام / فخر الدين الرازي ، قدم له : هاني الحاج ، وحققه : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د. ط ، د.ت ، ١٠ : ٧٤ .

[٤]) سورة النساء، الآية: ٣٢.

[٥]) سورة الفلق، الآية: ٥.

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ (١).

كما قال تعالى في ذمهم: أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ (٢).

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية: " يعنى بذلك حسدهم النبي – صلى الله عليه وسلم – على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له، لكونه من العرب وليس من بنى إسرائيل " (٣).

وعليه، فلو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء، ويختص بالمخالط والصاحب (٤)، لكانت النزاهة عنه كرماً، والسلامة منه مغنماً، فكيف وهو بالنفس مضر، وعلى الهم مصر، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية في عدو ولا ضرر لمحسود.

وقد أخبر النبي – ﷺ – أن الحسد يفسد إيمان المرء، فلا يجتمع الإيمان الصادق الكامل الذى يستحضر صاحبه أن كل أفعال الله لحكمة مع الحسد الذى يعترض صاحبه على فعل الله وحكمته ، فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – :" لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ"(٥).

---

١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

٣) تفسير ابن كثير، ٤ : ١١٩.

٤) فأكثر ما يكون الحسد بين المتفقين في مهنة كالحسد بين العلماء ، والحسد بين التجار ، والحسد بين أهل الصنائع ، هذا الغالب ، وإلا فمن المعلوم أنه لا يأتي نجار مثلاً فيحسد عالماً. [شرح الأربعين النووية ، مُحَمَّد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، السعودية ، ط: ١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م ، ص: ٣٧٢].

٥) الحديث صحيح، تقدم تخريجه، ص:١٦

كما حذرنا النبي – ﷺ – من التخلق بهذا الخلق الذميم لخطورته وبشاعته فهو يحبط خيرات الحاسد ويأكل حسناته كما تأكل النار الحطب، فعن أنس – رضى الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال: "الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ... " (١).

هذا، وقد أثنى النبي – ﷺ – على من خلى قلبه من الحسد، ولم يتلوث بآثاره

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ :قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ» :كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ « قَالُوا :صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ» :هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ " (٢)،

وبهذا أثنى الله – تعالى – على الأنصار فقال: وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٣)،

أي : لا يجدون في صدورهم حسدا وغيظاً مما أوتى المهاجرون من الفضل والتقدم أو مال الفيء، فهم لا يجدون حاجة مما أوتوا من المال ولا من الجاه، والحسد يقع على هذا (٤).

وهكذا تضافرت النصوص من القرآن والسنة وإجماع علماء الأمة على ذم هذا النوع من الحسد وهو تمنى زوال نعمة الغير، بل ومجرد كراهة نعمة الله على الغير، وتحريم هذه الصورة المذمومة (إلا نعمة أصابها رجل يستعين بها على الإفساد والضرر، ويتوسل بها إلى الشر والأذى، فتمنى زوالها في هذه الحالة لا يقصد بها زوال النعمة في حد ذاتها، وإنما القصد هو زوال ما تجلبه من أذى أو شر، وصرف ما تعود به من ضرر أو فساد) (٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد/ باب: الحسد، ح رقم (٤٢١٠) (٣/٥٠٤) واللفظ له وللحديث بقية، عن أنس بن مالك ، والخطيب في تاريخه (٣٢٧/٢) وقال العراقي: رواه الخطيب بسند جيد، (تخريج الإحياء، ١: ٦٤) ، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأدب/ باب: الحسد، ح رقم (٤٩٠٣)(٤/ ٢٠٩٠ – ٢٠٩١) مثله مختصراً عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري في تاريخه، ١: ٢٧٢، والتمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ط: المملكة المغربية، سنة ١٤٠٧هـ ، ٦ : ١٤٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الزهد / باب: الورع والتقوى ، ح رقم (٤٢١٦) (٣/ ١٥١) ، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب ، برقم: ٤٢٦٢ ، والحافظ الشهاب البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد بن ماجه برقم: ١٥٠٣. والألباني في صحيح ابن ماجه، برقم:٣٣٩٧.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) مجموع الفتاوى، ١٠: ٢٦٩.

(٥) من بلاغة النبوة، د. عبد القادر حسين، ص: ٦٢.

أما إذا كان الحسد مجازيا، أي بمعنى الغبطة وحقيقتها كما سبق وبينا ([1]) – أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره، فإنه محمود في الطاعة ومذموم في المعصية.

يقول ابن حجر – رحمه الله – إن كان في الطاعة فهو محمود ، وإن كان في المعصية فهو مذموم وإن كان في الجائزات فهو مباح " ([2]).

---

[1]) يراجع حقيقة الحسد، ص:١٠-١٣.

[2]) فتح الباري، ١ : ١٦٧.

المبحث الثاني

حقيقة العين وثبوت تأثيرها شرعاً

المطلب الأول

حقيقة العين في اللغة والاصطلاح:

إن من سهام الناس القاتلة التي تمرق من رمية الحسد الإصابة بالعين، وقد بين أهل العلم حقيقتها وثبوت تأثيرها.

أما عن حقيقتها في اللغة:

فالعين مأخوذة من عان يعين إذا أصابه بعينه، ويقال: عِنْتُ الرجل، بعيني أَعِينه عَيْناً فأنا: عاينُ، وهو معيونُ، ومَعِين، قال عباس بن مرداس:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخـــــال أنك سيد" معيون"

ويقال: رجل عائن ومعيان وعَيُون: أي يصيب الأشياء بعينه (١).

وحقيقة العين في اصطلاح العلماء:

فقد عرفها ابن حجر بأنها: " نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع، يحصل للمنظور منه ضرر " (٢).

وعرفها الإمام ابن القيم – رحمه الله – تعريفاً وافياً فقال: " إنها سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئة تارة، وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه بكيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، ...، ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى، فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال الله – تعالى – لنبيه – ﷺ – : وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ (٣)(١).

---

١) يراجع: الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه ، لأبي عبدالله التلمساني ، حققه : د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، ٢: ٤٧٩ – ٤٨٠.

٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري ، ١٠: ١٥٦.

٣) سورة القلم، الآية: ٥١.

ومما سبق يتبين لنا أن العين تطلق على الإصابة عن طريق الاستحسان، وإن لم يكن إدراك حسنها بالعين، فالأعمى قد يستحسن الأشياء باللمس، وسائر وسائل الإدراك والحس كالشم والذوق والسمع والتي تؤدى إلى العلم بمميزات ومحاسن الأشياء، فيوجه إليها نفسه الخبيثة المؤثرة فيصيب المحسود، وإنما اختيرت العين هنا لأنها أهم هذه الوسائل وأكثرها استعمالاً في هذا المجال.

والتأثير في هذا ونحوه بإرادة الله – تعالى – وهو ليس مقصوراً على الاتصال الجسماني، بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة وأخرى بمجرد الرؤية، وأخرى بتوجيه الروح كالذي يحدث من الأدعية والرقى، وتارة يقع ذلك بالتوهم، فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي إن صادف البدن لا وقاية له أثر فيه وإلا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسى ([٢]).

المطلب الثاني

ثبوت العين وتأثيرها والفرق بينها وبين الحسد:

إن تأثير العين في الإنسان ثابت بالكتاب والسنة والاجماع، وبما هو مشاهد وواقع.

أما الكتاب:

فيقول الله – تعالى – لنبيه – ﷺ – : وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ([٣]).

قيل: المعنى أنهم يعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذى أقامك الله فيه عداوة لك وبغضاً فيك، حتى كادوا يسقطونك لولا حفظ الله وعصمته لك ([٤]).

وقد أرادوا بالفعل أن يصيبوه – ﷺ – بالعين، فنظر إليه قوم من قريش كانوا مشتهرين بالعين، فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حُججه، بقصد إصابته بالعين، فعصمه الله من شرورهم وأنزل عليه هذه الآية الكريمة ([٥]).

---

[١]) الطب النبوي، لابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط:١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ص: ١١٣.

[٢]) يراجع: فتح الباري، لابن حجر، ١٠ :١٥٦.

[٣]) سورة القلم، الآية: ٥١.

[٤]) يراجع: الجامع لأحكام القرآن الكريم، لأبى عبد الله القرطبي، ٢٩ : ٤٦٦– ٤٦٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٤ : ١٠٢.

[٥]) يراجع: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩ : ٤٦٦ – ٤٦٧.

قال ابن كثير – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية:" وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله – عز وجل – كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة " ([1]).

كما أشار الله – عز وجل – في كتابه العزيز إلى تأثير العين والتحرز منها بقوله – تعالى – على لسان يعقوب عليه السلام موصياً بنيه وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ([2])

قال الإمام فخر الدين الرازي – رحمه الله – في تفسيرها: " اعلم أن أبناء يعقوب لما عزموا على الخروج إلى مصر ، وكانوا موصوفين بالكمال والجمال ، وأبناء رجل واحد قال لهم : " لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖۖ ... " وفيه قولان: الأول : وهو قول جمهور المفسرين أنه خاف عليهم من العين ولنا هنا مقامان : المقام الأول: إثبات أن العين حق ...، المقام الثاني : في الكشف عن ماهيته ". ([3]).

هذا ، وقد أمر الله – تعالى– نبيه مُحَمَّداً ﷺ بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى: وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ([4]).

أما السنة:

فقد جاءت مؤكدة للقرآن ، مفصلة لمجمله ، وموضحة لمبهمه ، فصرحت بتأثير العين وثبوتها شرعاً ، ووقوعها فعلاً ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ قال: "العَيْنُ حَقٌّ" ([5]).

وروى ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – ﷺ – أنه قال : "الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا" ([6]).

---

[1]) تفسير القرآن العظيم، ١٤ : ١٠٢.

[2]) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

[3]) التفسير الكبير ، ١٨: ١٤١– ١٤٢.

[4]) سورة الفلق الآية : (٥)..

[5]) أخرجه البخاري في كتاب: الطب / باب: العين حق ، ح رقم (٥٧٤٠) (٤/ ٦٧) ، واللفظ له ، ومسلم في كتاب: السلام / باب: الطب والمرض والرقى، ح رقم (٢١٨٧) ، (٤/ ٢١)، بلفظه.

[6]) أخرجه مسلم في كتاب: السلام ، باب: الطب والمرض والرقى ، ح رقم (٤٢– ٢١٨٨) (٤/٢١).

وقوله – ﷺ – : " الْعَيْنُ حَقٌّ " أي: ثابت موجود لاشك فيه ، وهذا قول علماء الأمة ومذهب أهل السنة " ([1]).

قال النووي – رحمه الله – تعقيباً على هذا الحديث: " وفى الحديث إثبات القدر وصحة أمر العين وأنها قوية الضرر " ([2]).

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ – : " الْعَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ ، بِهَا الشَّيْطَانُ وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ" " ([3]).

كما نبه النبي – ﷺ – أمته إلى عظم خطر العين، وحذر من تأثيرها الضار ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: " أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ بِالْأَنْفُسِ"([4]).

ومما يثبت تأثير العين وأن ضرراً ما يحدث للمعيون بسببها، أمر الرسول – ﷺ – بالاسترقاء منها كما روت السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُهَا أَنْ تَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ " ([5])،وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً، فَقَالَ :"بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرْقُوا لَهَا يَعْنِي بِوَجْهِهَا صُفْرَةً " ([6]).

---

[1]) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، حققه: محى الدين غريب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ١: ٥٦٥.

[2]) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٧ : ٤٢٦ – ٤٢٧.

[3]) أخرجه أحمد في مسنده، ح رقم (٩٦٣١)(٢٧٦/٩) ، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١١٠/٥) وقال: رجاله رجال الصحيح، وقوله: " حسد بن آدم "أي ويحضر حسد ابن آدم.

[4]) أخرجه البزار في مسنده، ح رقم (١١٦٤)(٦٤٣/١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٩/٥): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة، قال البزار: يعنى بالأنفس: العين. قال: ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي – ﷺ – إلا بهذا الإسناد.

[5]) أخرجه البخاري في كتاب: الطب/ باب: رقية العين، ح رقم (٥٧٣٨)(٦٧/٤) مثله، ومسلم في كتاب: السلام/ باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، ح رقم (٢١٩٥)(٢٧/٤) واللفظ له.

[6]) أخرجه مسلم في كتاب: السلام/ باب: استحباب الرقية من العين ، ح رقم (٥٩ – ٢١٩٧)(٢٨/٤) .

وقد وقع للصحابة – رضوان الله عليهم – في حياته – ﷺ – ما يثبت تأثير العين وضررها، وأنها قد تفضى إلى قتل من يصاب بها؛ فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ (١) نَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ :أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ، وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَزَّارِ مِنَ الْجُحْفَةِ، اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ (٢) وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ، حَسَنَ الْجِسْمِ، وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ (٣) خُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ :مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَلُبِطَ بِسَهْلٍ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ :يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ؟ وَاللهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفِيقُ، قَالَ " :هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟ " قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرًا، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ وَقَالَ " :عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ؟ " ثُمَّ قَالَ لَهُ " : اغْتَسِلْ لَهُ " فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَيَدَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ، وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ، يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ، وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ (٤).

---

(١) هو أسعد بن سهل بن حنيف بن مالك بن أوس الأنصاري المديني، أبو أمامة الحارثي أدرك النبي –ﷺ– ويقال أنه سماه وكناه باسم جده، ولم يسمع من النبي – ﷺ – شيئاً مات سنة مائة للهجرة [يراجع : رجال صحيح مسلم ، ١ : ٧٦– ٧٧ ، وأسد الغابة ، ١:٧٢ .].

(٢) هو سهل بن حنيف بن واهب بن غنم بن ثعلبة بن الحرث بن عمرو الأنصاري المديني، كنيته أبو ثابت، ويقال: أبو الوليد، شهد بدراً مع النبي –ﷺ– ومات بالكوفة سنة ٣٨هـ في خلافة على، وابنه أبو أمامة. [يراجع: رجال صحيح مسلم، ١ : ٢٥٥ – ٢٥٦ ، وأسد الغابة، ٢ : ٣٦٤، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢ : ٨٧.].

(٣) هو عامر بن ربيعة بن عمرو، ويقال: ابن ربيعة العنزي من عنزة المدني حليف بنى عدى بن كعب بن لؤي بن غالب، كنيته: أبو عبدالله، شهد بدراً مع النبي –ﷺ– ، روى عنه ابنه عبد الله في الصلاة ، وعبد الله بن عمر في الجنائز، مات سنة ٣٥هـ قبل مقتل عثمان بأيام. [يراجع: أسد الغابة، ٣ : ٨٠ ، الإصابة، ٢ : ٢٤٩.].

(٤) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب: العين/ باب: الوضوء من العين، ح رقم (١٧٩٥)(٤٢٨/٢) بنحوه، وأحمد في مسنده، ح رقم (١٥٩٢٢)(٤٠٢/١٢) واللفظ له، وابن ماجه في كتاب: الطب/ باب: من استرقى من العين، ح رقم (٣٥٠٩)(٢٤٠/٣) بنحوه، وقوله : " **فلبط** " يعني: صرع ساقطاً كالمريض [تفسير غريب الموطأ ، عبدالملك بن حبيب ، تحقيق : د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكة المكرمة ، مكتبة العبيكان ، ط: ١ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١ م ، ٢: ١٤٢].

وركب سعد بن أبي وقاص يوماً فنظرت إليه امرأة فقالت: إن أميركم هذا ليعلم أنه أهضم الكشحين، فرجع إلى منزله فسقط، فبلغه ما قالت المرأة فأرسل إليها فغسلت له ([1]).

قال أبو عبد الله القرطبي – رحمه الله – : " ففي هذين الحديثين أن العين حق، وأنها تقتل كما قال النبي – ﷺ – وهذا قول علماء الأمة، ومذهب أهل السنة، وقد أنكرته طوائف من المبتدعة، وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة، ومما يشاهد من ذلك في الوجود، فكم من رجل أدخلته العين القبر، وكم من جمل ظهير أدخلته القدر، لكن ذلك بمشيئة الله – تعالى – كما قال: وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ **([2]) ([3]).**

أما الإجماع:

فالجمهور من علماء المسلمين ([4]) يجمعون على إثبات الإصابة بالعين للأحاديث السابقة وغيرها، والواقع يشهد لذلك منذ عهد الرسول – ﷺ – إلى اليوم.

قال الأستاذ الدكتور/ موسى شاهين لاشين" : وهناك أناس اشتهروا بتأثير عيونهم وكانوا يواجهون فيعترفون وقد حدث لي منذ ثلاث سنوات أن كنت أقوم بمحاضرة دراسية لطالبات جامعة قطر، موضوعها: " العين حق" ، وبعد أن انتهيت من الشرح قامت طالبة فقالت: على مسمع من زميلاتها البالغات – تسعين طالبة – : " أنا عائن، وزميلاتي يعلمن ذلك، ويخفين عني ما أنعم الله به عليهن، حتى

---

[1]) أورده عبد الملك بن حبيب الأندلسي في تفسير غريب الموطأ، ٢: ١٤٣ – ١٤٤، وكذا أورده أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، ١٣ : ٢٠٤.

[2]) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

[3]) الجامع لأحكام القرآن، ١٣ : ٢٠٤ – ٢٠٥.

[4]) يراجع: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس القرطبي، ٥ : ٥٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن، ١٣ : ٢٠٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٤ :١٠٢ – ١١٠.

٦) الحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة ، موسى شاهين لاشين ، ص: ٤٣٥

ابتعدن عني، وعن مصاحبتي، وقالت: لقد أمسكت مرة بشعر ابنة أختي، وكان شعراً جميلاً، فقلت ما هذا الشعر الجميل؟ فخرج الشعر في يدى!"(٦).

الفرق بين العين والحسد:

عقد ابن القيم – رحمه الله – مقارنة بين الحاسد والعائن فقال: الحاسد والعائن يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء، فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من يريد أذاه، فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال، وربما أصابت عينه نفسه ([1]).

فالعين قد تكون من العدو ومن المحب، وقد تكون بسبب الإعجاب، بل قد يعين الإنسان نفسه بغير إرادته، كما قال – تعالى – عن صاحب الجنتين: وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٢).

فقد أصاب صاحب الجنتين ماله بالعين عن طريق الإعجاب و الاستحسان، ولم يكن يتمنى زوال نعمته، فلا حسد ([3]).

وقد تكون العين من الرجل الصالح أو الفاسق، فلا علاقة لها لا في باب الصلاح، ولا في باب الفسق ([4]).

والرسول – ﷺ – عاتب الصحابي العائن ([5]) على تركه التبريك الذى كان بوسعه وطاقته، لا على العين.

---

[1]) بدائع الفوائد، لشمس الدين بن القيم الجوزية، حققه: بشير محمد عيون، دار البيان، دمشق، ط: ٢، سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص: ٣٤٣.

[2]) سورة الكهف، الآيات: ٣٢-٤٢.

[3]) يراجع: الحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة، أزد/ موسى شاهين لاشين، ص: ٤٣٣.

[4]) يراجع: فتح الباري، ١٠ : ٢٠٥.

[5]) الحديث صحيح، تقدم تخريجه، ص:٣٥.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – معقباً على هذا الحديث: " في هذا الحديث دليل على أن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب، ومن الرجل الصالح، وأن الذى يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة " ([1]).

ومما سبق يتبين لنا أن الحسد والعين متغايران، وقد سبق أن عرفنا الحسد بأنه ليس فقط تمنى زوال النعمة عن الغير بل أيضاً كراهة وبغض هذه النعمة ([2])، وعرفنا العين هنا أنها نظر باستحسان إلى الشيء، وقد يكون سببه شدة العداوة والحسد وقد يكون سببه الإعجاب، لذلك فالحسد لا يكون إلا من عدو، والعين قد تكون من عدو أو محب، بل قد تكون من الإنسان لنفسه، كما لو أعجب الشخص بماله، أو أولاده، فإن العين قد تصيب هذه النعمة، على الرغم من أنه لا يتمنى زوالها، بل يتمنى بقاءها وزيادتها.

---

[1]) فتح الباري، ١٠: ٢٠٥

[2]) يراجع: حقيقة الحسد من هذا البحث، ص: ١٠ – ١٣.

الفصل الثاني

"التدابير الوقائية التي وضعها الإسلام للوقاية من الحسد"

المبحث الأول

" الوقاية بالبعد عن أسباب الحسد ودواعيه"

إن من أبرز أمراض النفس التي شاعت بين المسلمين الحسد، وهو آفة – كما تقدم – مهلكة ، وداء قلبي مشين ينتج عن أمراض قلبية خطيرة كالعداوة والبغضاء، وحب المنصب والمال، والشرف والجاه، والشح والأنانية وغيرها ...،

وهذه آفات مهلكة – أيضاً – لابد لها من علاج يطهر النفس منه، ويغرس عوضاً عنها صفات البذل والمحبة والتواضع والإيثار حتى ترتقى النفس وتسمو.

ولذلك نجد أن الإسلام بأوامره ونواهيه وشعائره وعباداته يركز على الوقاية من هذا الداء الخطير، وذلك بالوقوف على أسبابه ومعرفة مصادره حتى يتسنى لكل مسلم تجنبها والابتعاد عنها ، بل ومحاربة هذه المصادر والقضاء عليها، أو تضيق دائرتها إلى أقصى الحدود الممكنة، وقد سبق بيان تلك الأسباب والمصادر في المباحث السابقة ([1]).

هذا وقد جعل الله – سبحانه وتعالى – سبلا شتى للوقاية منها وتطهير النفس مما يترتب عليها من داء الحسد البغيض، منها على سبيل المثال:

أولاً: ترسيخ الإيمان بالله – عز وجل – والرضا بقضائه وقدره:

فإذا كان الحسد ناتجاً عن ضعف الإيمان بالله – عز وجل – وضعف التوكل عليه، وعدم الثقة بوعده – سبحانه – والرضا بقضائه وقدره، وأن الرزق مقسوم يسر لكل حي لا يمنعه حرص حريص ولا يرده حسد حاسد، كما جاء في الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ :فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ« ([2])،

---

[1]) يراجع هذه المباحث من البحث ، ص: ١٣– ٢٦.

[2]) أخرجه مسلم في كتاب: القدر/ باب: أن الآجال والأرزاق لا تزيد ولا تنقص، ح رقم (٢٦٦٣)(٤/٣٥٥).

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله – ﷺ – : " إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ " ([1]).

فهذان الحديثان صريحان في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإن طرد هذا الداء العضال لا يكون إلا انطلاقاً من ترسيخ الإيمان بالله – عز وجل – في القلوب، وتقويته في النفوس، فهو خير زاد يتزود به المسلم للوقاية من هذا الداء الوبيل، واجتثاثه من أصوله؛ لأنه يسبغ على نفس المؤمن الاطمئنان إلى عدله – سبحانه – والرضا بقضائه وقدره، والصبر على بلائه، والثقة الكاملة في حكمته ورحمته، والقناعة برزقه فهو خالق كل شيء ومدبره ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، كما قال تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ([2])، وقال سبحانه: لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ([3]).

فهذه الآيات وغيرها كثير ، تذكر الإنسان بقدرة الله – تعالى – وعظمته، وتزيد القلب إيماناً وتجعله يتعلق بالله وحده، الذى بيده الحياة والموت، والرزق والأجل، والنفع والضرر، لا يعبأ بمخلوق أياً كان متوكلاً على الله في كل أمر، معتمداً عليه في كل شأن، موقناً أن النفع والضر إنما هو من الله وحده؛ فلا يتهيب بطش ذي سلطان، ولا يخشى بأس ذي إرهاب، كما جاء في الحديث الذى رواه ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ :كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" ([4])

---

[1]) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: البر والصلة، ح رقم (٧٤٥٩)(٩١/٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

[2]) سورة ق، الآية: ١٦.

[3]) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

[4]) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع/ باب: (٥٩)، ح رقم (٢٥١٦)(٣٨١/٤) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده، ح رقم (٢٧٦٣)(٢٩٩/٣) بنحوه.

وبهذا الإيمان، وهذه العقيدة القوية الراسخة يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات، ويتعالى عن لذائذ الدنيا ومتعها الزائلة الفانية غير المشروعة ،ويتجه تلقائيا إلى خير نفسه، وتطهيرها من حقدها وحسدها وسائر أدرانها ، لأنه يعلم علم اليقين أن الأرزاق، وسائر الأحوال بيد الله – عز وجل – وأنه سبحانه هو المانع المعطى، الضار النافع، وأن اجتهاد الخلق جميعا على خلاف أقدار الله – عز وجل – غير مجد البته، فلا يملك الحياة إلا واهبها ، ولا يملك الرزق والعطاء إلا مانحه ومسديه وهو المنعم الوهاب.

وهذا الجانب من الإيمان بالله والرضا بقضائه وقدره، إذا استشعره الإنسان، وقام بموجبه فاتبع منهج الله – سبحانه – ، واستجاب لقوله تعالى : وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ (١)، وقوله – تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ (٢)، وكذا امتثل لنهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن التحاسد والتدابر، ، فإن كل ذلك يصرف قلبه عن الحسد وسائر الآفات الفاسدة، فلا يهلع ، ولا يجذع، ولا يحقد، ولا يغل، ولا يشمت.

ومما سبق يتضح لنا أن عقيدة المسلم على هذا الأساس الواضح المستقيم من أهم وسائل وسبل الوقاية من هذا الداء الوبيل (الحسد) بل والعلاج منه أيضاً.

ثانياً: الوقاية بالعلم بأحكام الله – تعالى– وتكاليفه:

إن العلم بالله – تعالى – وأوامره ونواهيه من أهم سبل الوقاية من الوقوع في الأهواء والمظالم، وما ينشأ عنها من أمراض قلبية ومساوئ خلقية، فهو نور العقول والقلوب، وهو الوسيلة إلى معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الحكيمة وسننه وقوانينه، وهو المؤسس والمغذى للعقائد والعواطف، وهو المطهر للقلوب من كل ما يثير الحقد والحسد والكراهية بين الناس ليكون نور الإيمان مضيئاً لهم الطريق، فيزكيهم ويهديهم سبل السلام، والصراط المستقيم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة طه، الآية:١٣١.

ولا سبيل إلى هذا العلم النافع وهذه المعرفة الصحيحة إلا الوحى في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفى سنة يبلغ فيها الرسول – ﷺ – عن ربه سبحانه وتعالى.

ومن أجل هذا أرسل الله – تعالى – رسوله الكريم – ﷺ – إلى الناس كافة ليبلغهم رسالات ربه ويدعوهم إلى طاعته ويبصرهم بعواقب الأمور، وليعرفهم أحكام الله وشرائعه ويعلمهم الكتاب والحكمة كما قال – تعالى لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ (١).

وقد جاء التوجيه الإلهي بالعلم سابقاً على العمل فقال – تعالى – : وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ (٢).

هذا، والعلم المطلوب هنا هو العلم الذى يبين الأوامر والنواهي في حق المكلف في كل شأن من شؤون حياته، والذى يبين له مصدر التكليف، وأنه من الله – تعالى – وأنه سبحانه واجب الطاعة، والذى يوضح أيضاً صفة التكليف وشروطه، وأركانه ومقاديره ومبطلاته ... ، وغير ذلك مما يتوقف عليه صحة الاعتقاد وكذلك صحة العمل.

قال ابن حزم في حديثه عن العلم بشرائع الإسلام (٣): " ونذكر منه ههنا ما لابد من ذكره، وهو أن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر أو أنثى، حراً أو عبداً، يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضاً بلا خلاف من أحد المسلمين، وتلزم الطهارة والصلاة المرضى والأصحاء، ففرضٌ على كل من ذكرنا أن يعرف فرائضها صلاته وصيامه وطهارته، وكيف يؤدى كل ذلك، وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له، ويحرم من المآكل والمشارب والملابس، والفروج والدماء، والأقوال والأعمال، فهذا كله لا يسع جهله أحداً من الناس، ذكورهم وإناثهم، أحرارهم وعبيدهم وإمائهم، وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك، من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون، أومن حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم، ويجبر الإمام أزواج النساء، وسادات الأرقاء على تعليمهم ما ذكرنا، إما بأنفسهم، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يراتب أقواماً لتعليم الجهال، ثم فرض على كل ذي مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة، وسواء الرجال والنساء، والعبيد، والأحرار، فمن لم يكن له مال أصلاً، فليست

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، للحافظ/ أبي مُحَمَّد على بن حزم الأندلسي الظاهري، مطبعة الامتياز، القاهرة، ٥ : ٨٩٩.

تعلم أحكام الزكاة عليه فرضاً ثم من لزمه فرض الحج، ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة، ولا يلزم ذلك من لا صحة لجسمه ولا مال له".

ولاشك أن الإعراض عن هذا العلم النافع والمعرفة الشرعية اللذين يمثلان قاعدة الطاعة والامتثال لأوامر الله – عز وجل – ونواهيه والحرمان منهما يوقع الإنسان في الضلال المبين، وهذا ما وقع فيه أهل الشرك والضلال عندما اتبعوا الظن وما تهوى الأنفس وأعرضوا عما جاءهم من العلم والهدى، وهذا الحال حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ (١).

كما بينت السنة المطهرة للناس أن هذا العلم بالله – عزو وجل – هو الذى يرشد إلى ما يحبه الله ويرضاه لعباده، وليس ما يراه الإنسان بمقاييسه وأهوائه، وأن العمل وفق هذا العلم – هو تمام الخشية من الله عز وجل.

فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ :جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا :وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ :أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ :أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ :أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ : "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" (٢).

فعلمهم الرسول – ﷺ – أنه أعلمنا بالله وأشدنا له خشية ومقتضى العلم والخشية أن يلزم ما يحبه ربنا ويرضاه، وقد بلغ به رسول الله – ﷺ –.

فبالعلم تنقى القلوب من أدرانها حقداً أو حسداً أو عداوةً أو بغضاً، وسائر الموبقات، وبالعلم تغرس القيم النبيلة والمبادئ القيمة، وتنمو الفطر الصحيحة التي فطر الله الناس عليها في إيمان صحيح تسلم به القلوب، وتصحح به التصورات نحو الإنسان والكون والحياة.

---

(١) سورة النجم، الآيات: ١٩ : ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : النكاح / باب : الترغيب في النكاح ، ح رقم (٥٠٦٣) (٣ / ٥٨٩) ، واللفظ له ، ومسلم في كتاب : النكاح / باب: استحباب النكاح لم تاقت نفسه إليه ، ح رقم (٥ – ١٤٠١) (٢ / ٤٥٦) .بنحوه.

وقد كانت حياة رسول الله – ﷺ – كلها لله وبالله ، وشريعته – ﷺ – قائمة على العلم داعية إليه في كل أمر من أمور الدين أو أمور الحياة؛ فما يفعل فباسم الله، وما يترك باسم الله، كما قال– تعالى: لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (١).

ومن أجل ذلك وضع رسول الله – ﷺ – مكانة العلم في القمة وأحاطه بجو من التكريم والتقدير الذى يحث على التعلم، والأخذ بأسبابه حين جعل العلم والمعرفة طريقاً إلى الجنة، ووضع العلماء في الدرجة الرفيعة والمكانة السامية.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" ...، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ،... " (٢).

وعندما يعلم الإنسان أن هذا العلم النافع الذى يصحح به عقيدته وتصوراته وحياته في جوانبها المتعددة، الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاته مع الآخرين، وغير ذلك مما فصل في كتاب الله – عز وجل – وسنة رسوله – ﷺ – ييسر له سبل الجنة، فإنه حينئذ يروض نفسه بحملها على الصبر في السعي إلى تحصيله، وفهم مسائله ، ومدارسته مع أهله، وكذلك نشره وتعليمه.

ومما سبق يتضح لنا أن المصدر الذى منه نتلقى، والنبع الذى عنه نأخذ هو من الله – سبحانه وتعالى – ورسوله – ﷺ – ، ولا ثقة في علم لم يكن من عند الله – تعالى – وذلك فيما يتعلق بالشريعة والعقيدة والأخلاق.

ولأجل معرفة أثر العلم بالله – عز وجل – وتكاليفه وأوامره ونواهيه، والمستقى من كتابه – عز وجل – وسنة نبيه – ﷺ – في تطهير القلوب من أدواء الحقد والحسد ونحوها، يجدر بنا الرجوع إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وواقع دعوته – ﷺ– والتي نجدها تولى أهمية بالغة وعناية خاصة بإزالة ما علق في قلوب الناس من عقائد فاسدة، وظنون سيئة، وأهواء متبعة بالعلم والتوحيد، والقدر

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة/ باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح رقم (٢٦٩٩)(٤/٣٧٨ – ٣٧٩) ضمن حديث طويل.

واستشعار ذلك، لأن هذا الجانب إذا علمه الإنسان واستشعره وقام بموجبه فإنه يؤثر تأثيراً قوياً في صلاح قلبه وتخليصه من حقده وحسده.

فالعلم بالله – عز وجل – ومعرفته، والدلالة عليه، ومن ثم الإيمان به، والاستجابة لشرائعه وأوامره ونواهيه، اقتداء برسول الله – ﷺ – واتباعاً لما جاء به هو العلم النافع، وهو المؤثر الأهم والأقوى لرقة القلب ووقايته من أدران النفس من حقد وحسد وغل وضغينة ونحو ذلك.

ثالثاً: الوقاية بالزهد في الدنيا ومتاعها الفاني([1]):

مما لاشك فيه، أن علة العلل، والأصل الأصيل لكل الذنوب الظاهرة والباطنة على السواء، إنما هو الانشغال بالدنيا، وزخرفها، وإيثارها على الآخرة .

فحب الدنيا والتنافس عليها سبب – كما تقدم – من الأسباب الخطيرة التي تهلك القلب والبدن بآفة الحسد البغيض، لما يترتب عليها من الأحقاد والكراهية من المتنافسين بسبب عرض الدنيا من مال أو منصب أو نحو ذلك.

وإن مما يعين الإنسان على الوقاية من الوقوع في هذه الآفة والتخلص من هذا الداء العضال الزهد في الدنيا ومتاعها الفاني فليس للمرء من سعادة إلا بالتجافي عن اللذات ، والتباعد عن الشهوات، والإقلاع عن حب الدنيا، بالإقلال من دواعي الترف والنعيم، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثر

---

[1]) **الزهد في اللغة:** يعنى القلة، والزهيد: الشيء القليل، ويقال: زهد فيه، وعنه زهداً وزهادة: إذا أعرض الناس عنه احتقاراً له إما لقلته، وإما لدناءته وخسته [يراجع: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الجبل، بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ، ٣ : ٣٠، ومجمل اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٤هـ، ٢ : ٤٤٢، مادة (وهد)].

أما الزهد في الشرع: فهو قلة الرغبة في الشيء وقلة الرغبة عنه، وقيل: ترك راحة الدنيا لراحة الآخرة، وقيل: أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، وقيل: هو أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن حله، وقيل: هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب، **و عن أبي ذر قال: قال رسول الله –ﷺ– : "الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ المَالِ وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِمَّا فِي يَدِ اللَّهِ وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ المُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أُصِبْتَ بِهَا أَرْغَبَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ".** (أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد/ باب: ما جاء في الزهادة في الدنيا، ح رقم (٢٣٤٠)(٤/٣٠٠)قال أبو عيسى : هذا حديث غريب، وابن ماجة في كتاب: الزهد/ باب: الزهد في الدنيا، ح رقم (٤١٠٠)(٣/٣٦٦) ، قال الإمام الصنعاني تعليقاً على هذا الحديث. " فهذا التفسير النبوي يقدم على كل تفسير" (سبل السلام، ٤ : ٢٢٢). [يراجع هذه الأقوال وغيرها في سبل السلام للإمام الصنعاني، ٤ :٢٢٢، ومدارج السالكين، لابن القيم، ٢ : ١٠ – ١١، وأخلاق النبي –ﷺ– في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، دار العزب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ١ : ١٩٤ – ١٩٥].

من آية، فقال – تعالى : وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ (١)،وقال – سبحانه – : زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ (٢).

كما حذر الله – عز وجل – في كتابه العزيز نبيه – ﷺ – من أن يمد بصره إلى متاع أصحاب الدنيا حتى لا يزدرى نعمة الله عليه، وحتى لا يصير هذا المتاع أكبر همه فيطلبه بسخط الله – تعالى – فقال سبحانه: لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ (٣)، وقال تعالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ (٤)، وقال تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧ (٥).

ولاشك أن خطاب الرسول – ﷺ – في هذه الآيات وتعليمه ، خطاب وتعليم لأمته من باب أولى.

ومن أجل ذلك فقد أوصانا رسولنا الكريم – ﷺ – بأن ننظر إلى الدنيا على أنها دار فناء، وأن الآخرة هي دار البقاء، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ :أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ : "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ» :إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" (٦).

قال الإمام الصنعاني – رحمه الله – معلقاً على هذا الحديث: " وفى هذه إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا، وأخذ الكفاف منها، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك المؤمن لا يحتاج في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل، وقوله: " كان ابن عمر "، قال بعض العلماء: كلام ابن عمر

---

١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

٣) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

٤) سورة طه، الآية: ١٣١.

٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٦ – ١٩٧.

٦) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق/ باب: مثل الدنيا في الآخرة، ح رقم (٦٤١٦)(٤/٢٧٩) .

متفرع من الحديث المرفوع وهو متضمن لنهاية تقصير الأجل من العاقل إذا أمسى ينبغي له ألا ينتظر الصباح، وإذا أصبح ينبغي له ألا ينتظر المساء بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك " ([1]).

كما زهد النبي – ﷺ – وصحابته في الدنيا، وما كانت لهم: إلا بلغة للآخرة، فقال – ﷺ – : "وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ – وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ – فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟" ([2]).

وبين – ﷺ – حقيقة الدنيا ومقدارها، فقال – ﷺ –: " لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ" ([3]).

ولهذا كان النبي – ﷺ – أزهد الناس – كما أخبر بذلك الصحابي الجليل عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ بِمِصْرَ :" مَا أَبْعَدَ هَدْيَكُمْ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا هُوَ فَكَانَ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا...." ([4]).

ويكفي في الاستدلال على زهده – ﷺ – أنه كان يفترش الحصير ويلبس الصوف بالصورة التي كان عليها آنذاك، ويأكل ويشرب في آنية الفخار والخشب، بحيث كان يجد في نفوس أصحابه الذين عرفوا أحوال العظماء في الدنيا، وهو – صلى اله عليه وسلم – قد كان أعظم عظماء الدنيا والآخرة، ومع ذلك لم يرغب فيما يرغبون فيه، وإنما آثر الزهد فيها، ورضى بما يرضى به أقل الناس شأناً في الدنيا"([5]).

---

[1]) سبل السلام، مُحَمَّد بن اسماعيل الصنعاني، ٤ : ٢٢٧.

[2]) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح رقم (٢٨٥٨)(٤/٤٩٩) عن الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ.

[3]) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد/ باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله –عز وجل–، ح رقم ٢٣٢٠)(٤/٢٩٢) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه، وابن ماجة في كتاب: الزهد/ باب: مثل الدنيا، ح رقم (٤١١٠)(٣/٤٧٠) بنحوه مطولاً، والحاكم في المستدرك في كتاب: الرقاق، ح رقم (٨٠١١)(٥/٢٢٧ – ٢٢٨) بنحوه مطولاً، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، جميعهم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ مرفوعاً.

[4]) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: الرقاق، ح رقم (٨٠٩٢)(٥/٢٤٥) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص.

[5]) أخلاق النبي – ﷺ – د. أحمد بن عبد العزيز، ١ : ٥١٩.

فعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال:" " نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا :يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ– : مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" (١).

هذا، وقد يفهم البعض أن الزهد معناه ترك الدنيا والانقطاع إلى العبادة والانعزال عن المجتمع، ولكن ذلك فهم خاطئ لأنه لا يتفق مع روح الإسلام الذى جاء ينظم شئون الدين والدنيا، [فنظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة ، وأن الدين لا يقوم إلا بعمارة الدنيا كما هو معلوم، ولكن على أن لا تكون الدنيا هي الغاية، وإنما لتكون وسيلة للآخرة] (٢).

وقد وضع الله – سبحانه وتعالى – للدنيا والآخرة منهجاً متكاملاً خير ما يصوره قصة قارون لما خرج يستعرض زينته وشاهده طلاب الدنيا فسال لعابهم وأكبروه، وبهرتهم دنياه الظالمة وتمنوا أن يكون لهم مثله، وعلموا أن دنياه هذه كلها إثم وأنها كانت سبباً في تمرده وعصيانه فقال – تعالى – : فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ (٣)، وقال – تعالى - : إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ (٤).

فالإنسان الزاهد حقاً لا يفرح إذا ما أقبلت عليه الدنيا ولا ييأس إذا ما أدبرت عنه، لأن الذى يفرح بوجود شيء ويحزن لفقده، يصير عبداً لما أفرحه بقاؤه وأحزنه فقده، وهذا هو المشار إليه في قوله تعالى: لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد/ باب: (٤٤)، ح رقم (٢٣٧٧)(٤/٣١٦) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب: الزهد/ باب: مثل الدنيا، ح رقم (٤١٠٩)(٣/٤٦٩) مثله، وأحمد في مسنده، ح رقم (٣٧٠٩)(٣/٥٥٦) مثله.

(٢) أخلاق النبي –ﷺ– د. أحمد الحداد، ١ : ٥٠١.

(٣) سورة القصص، الآيات: ٧٩ : ٨١.

(٤) سورة القصص، الآيتان: ٧٦ – ٧٧.

فَخُورٍ (١)، وقوله – ﷺ –: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ" (٢).

ومما سبق يتضح لنا أن الزهد في الدنيا أحد الوسائل الناجعة للوقاية من الحسد بل وعلاجه – أيضاً – لأن الزاهد يتحرر من عبوديته للركون إلى المال، والتكالب على المزيد من كماليات الحياة، والحرص عليها، ويرتفع فوق حظ النفس، فلا يملؤها بالطمع والجشع والحرص على الترفع، ويدفعها إلى البذل والعطاء والبعد عن رذائل البخل والشح ومسببات أمراض القلوب، ويدعوها إلى القناعة بما قسم الله من رزق، ويربيها على التعفف عما في أيدى الناس، فلا ينافسهم فيه ، ولا يعاديهم عليه، ولا يغضب منهم، ولا يحقد عليهم، وبالتالي لا يتطرق الحسد إلى قلوبهم فينال بذلك الزهد وهذا التعفف حب خالقه – سبحانه – ثم حب الناس له ، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ (٣) – رضى الله عنه قَالَ :أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ

فإذا أردنا – نحن المسلمين – لأنفسنا فلاحاً ولأمتنا نجاحاً، فعلينا أن نسير على منهج النبي – ﷺ – وأصحابه، وأن نسلك مسلكهم، فنرضى باليسير، ونكتفى بالكفاف، وندع الدنيا وراء ظهرنا ونؤثر عليها قيم الآخرة، ونجعل قلوبنا تفيض بحب الله ورسوله مقام حب المتاع الفاني، فنوجه ما بأيدينا من رزق ونعمة لمصلحة المجتمع الذى نعيش فيه، فيجد الفقير والمسكين وذو الحاجة حاجته ، ويجد من لا عمل له عملاً، عند ذلك نقضى على التباغض والتدابر ، ومن ثم الإحن والتحاسد ، فتنهض الأمة وينصلح شأنها.

---

(١) سورة الحديد، من الآية: ٢٣.

(٢) الحديث صحيح، تقدم تخريجه، ص:٢٢.

(٣) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة وكان اسمه حزن فسماه رسول الله –ﷺ– سهلاً، كنيته أبو العباس، له سماع من النبي –ﷺ– سكن المدينة وكان آخر من مات بها من أصحابه – رضوان الله عليهم– مات سنة أحدى وتسعين، وقيل ثمان وثمانين. [يراجع: رجال صحيح مسلم، ١: ٢٥٥ ، وأسد الغابة، ٢ : ٣٦٦.].

(٤) أخرجه ابن ماجة في كتاب: الزهد/ باب: الزهد في الدنيا، ح رقم (٤١٠٢)(٣/٤٦٦ – ٤٦٧) مثله، والحاكم في المستدرك في كتاب: الرقاق، ح رقم (٨٠٣٨)(٥/٢٣٣) واللفظ له، وقال : هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

رابعاً: الوقاية من الحسد بالتحلي بصفة العفو والصفح:

إن من أهم سبل الوقاية من الحسد، أن يتحلى المرء بصفة العفو والصفح عمن أساء إليه؛ لأن العفو عن الهفوات والإغضاء عن الزلات، والإغماض عن العثرات والسقطات دليل على سمو النفس، وعلو الهمة، وكرم الأصل، ونبل الخلق، ولا تصدر إلا من نفس قوية راجحة العقل، صبرت على اعتداء الغير وأذاه، وغلبت جانب الحلم والأناة، وهو ما يكون سبباً في تطهير القلوب من الحقد والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل ويؤدى إلى صداقة قوية بين المتخاصمين، فهو مدعاة إلى إزالة الوحشة بينهما، وفتح باب إقبال أحدهما على الآخر، وهو من الأسباب الجالبة للمحبة والألفة؛ لأن المعتدى يؤمله هذا العفو من قادر فيعمل على إرضائه، ومحو أثر الاعتداء من نفسه، ولن يثمر ذلك كله إلا حب عميق وتعاون وثيق، يزيل آثار العداوة والبغضاء، ومن ثم فإنه يدفع الحسد الذى ينشأ عنهما.

وفى ذلك يقول الله تعالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ([1]).

قال ابن كثير – رحمه الله – ([2]) عند تفسيره لهذه الآية: " أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك، ومحبتك، والحنو عليك حتى يصير كأنه ولىُ لك".

كما حثت السنة النبوية أهلها على التحلي بهذه الصفة (العفو والصفح) وجعلتهما من أسباب دخول الجنة.

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :" بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ " :رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا :يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظْلِمَتِي مِنْ أَخِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلطَّالِبِ :فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ :يَا رَبِّ فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي " قَالَ: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُكَاءِ، ثُمَّ قَالَ " :إِنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ " :ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ فِي الْجِنَانِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ :يَا رَبِّ أَرَى مَدَائِنَ مِنْ ذَهَبٍ وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا أَوْ لِأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا أَوْ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ :هَذَا لِمَنْ أَعْطَى الثَّمَنَ، قَالَ :يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ؟ قَالَ :أَنْتَ

---

[1]) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

[2]) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٢ : ٢٤٣.

تَمْلِكُهُ، قَالَ :بِمَاذَا؟ قَالَ :بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ :يَا رَبِّ فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :فَخُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ "فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ» :اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ" ([1]).

ولنشر هذه الفضيلة بين المسلمين كان رسول الله – ﷺ – يرغب فيها بقوله وفعله، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ :" مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ" ([2]).

فمن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلب، وزاد عزه وإكرامه، وللآخرة أكبر درجات وأعظم تفضيلاً، فإن عزه سيكون هناك في جنات وعيون وزروع ومقام كريم " ([3]).

وعن معاذ بن أنس الجهني ([4]) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ" ([5])

ومن تأمل بعين الحكمة والدقة يجد أننا كثيراً ما نزل وتقع منا هفوات وعثرات، فنفتقر إلى العفو والغفران، وإن لم نغفر لمن أساء إلينا فلا يغفر لنا، وإذا حاسبنا غيرنا حاسبنا غيرنا، وإذا انتقمنا من الناس

---

[1]) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: الأهوال، ح رقم (٨٨٩٧)(٥/٤٧٠ – ٤٧١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: عباد : ضعيف وشيخه لا يعرف، قلت: وقال ابن حجر: عباد بن شيبة هو الذى يقال له عباد بن ثبيت، روى عن سعيد بن أنس وغيره، وروى عنه عبد الله بن بكير بن حبيب السهمي، ضعيف، وقال: ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به من المناكير(لسان الميزان ، ٣ : ٢٣) ، وعلى هذا ، فالحديث : إسناده ضعيف لكن متنه صحيح لقول الله تعالى: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)[الأنفال : ١]، وأيضاً فإن الموطن هنا موطن الترغيب في الصلح ، ولذا يجوز الاحتجاج به.

[2]) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة/ باب: استحباب العفو والتواضع، ح رقم (٦٩ – ٢٥٨٨)(٤/٣٠٦) .

[3]) يراجع: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ : ١٤١.

[4]) هو معاذ بن أنس الجهني حليف الأنصار، صحابي كان بمصر والشام، روى عن النبي –ﷺ– وأحاديث وله رواية عن ابى الدرداء وكعب الأحبار، وروى عنه ابنه سهل بن معاذ، بقى إلى خلافة عبد الملك بن مروان، ويذكر أنه غزا مع النبي – ﷺ– [يراجع: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٣ : ٥٦٤].

[5]) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب/ باب: من كظم غيظاً، ح رقم (٤٧٧٧)(٤/٢٠٤٣) مثله، والترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٤٨)، ح رقم (٢٤٩٣)(٤/٣٧١) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة في كتاب: الزهد/ باب: الحلم، ح رقم (٤١٨٦)(٣/٤٩٦) مثله ، ثلاثتهم عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه مرفوعاً.

انتقم منا الناس، فليكن انتقامنا بالإحسان إليهم والعفو عن المذنبين منهم لنزيل ما في قلوبهم من ضغينة وحقد وحسد ولنظفر منهم بالحب والتقدير، ومن الله تعالى بالأجر الكبير والعطاء الوفير.

ولهذا كان النبي – ﷺ – أسبق الناس إلى التحلي بهذه الفضيلة، فكان – ﷺ – قدوة حسنة في ضبط النفس وكظم الغيظ والعفو والصفح، فعن عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت: "لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ" ([1]).

وهكذا نجد الرسول – ﷺ – يصنع لأصحابه أساساً قوياً لقيام العلاقات الطيبة بين أفراد المجتمع يزيد من تماسك المجتمع وقوته، وحفظه وصيانته من كل أسباب التباغض والتدابر والتحاسد.

ولهذا كان السلف الصالح – رحمهم الله – يحرصون كل الحرص على التحلي بهذه الصفة الحميدة، فهم لا يتوانون في العفو والصفح عن الذى يخطئ عليهم ويظلمهم بل ويحسنون إليه.

فبعد براءة السيدة عائشة – رضى الله عنها – من حادثة الإفك وكشف الذين خاضوا فيه. أقسم ابو بكر – رضى الله عنه – بألا ينفع مسطح بن أثاثة ([2]) بشيء وكان ينفق عليه لقرابته منه، وكان مسطح أحد الذين خاضوا في حديث الإفك، فأنزل الله القرآن ببراءة السيدة عائشة أولاً، ثم أنزل في شأن أبى بكر ومسطح قوله: وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى وَالمَسَاكِينَ وَالمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ([3])، فقال أبو بكر الصديق – رضى الله عنه – : قَالَ أَبُو بَكْرٍ " :بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ :وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ أَبَدًا" ([4]).

---

[1]) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة/ باب: ما جاء في خلق النبي–ﷺ– ح رقم (٢٠١٦)(١٣٦/٤) مثله، وقال ابو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده، ح رقم (٢٥٢٩٣)(٥٩٠/١٧) واللفظ له، والدارمي في: المقدمة/ باب: صفة النبي –ﷺ– ح رقم (٥)(١٦/١) بنحوه.

[2]) هو مسطح بن أثاثة بن عباد، اسمه عوف، أما مسطح فهو لقبه، أمه بنت خالة أبى بكر أسلمت وأسلم أبوها قديماً، مات مسطح سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان، ويقال: عاش خلافة على، وشهد معه صفين، ومات سنة ٣٧هـ (يراجع: الإصابة ، ٣ : ٤٠٨).

[3]) سورة النور، الآية: ٢٢.

[4]) أخرجه البخاري في كتاب: الشهادات/ باب: تعديل النساء بعضهم بعضاً، ح رقم (٢٦٦١)(٣٥٢/٢ – ٣٥٥) ضمن حديث طويل.

فالصديق هنا سمت نفسه فوق الأحداث، وخلت من أحقادها وبغضها وكراهتها لمسطح بن أثاثة، ولبت داعى ربها إلى العفو والصفح في سماحة ويسر وسعة صدر.

وذلك هو الخلق الحق الذى ينبغي أن يتحلى به كل مسلم فيكون عفواً حليماً، ضابطاً لنفسه عند الغضب، فيصفح عمن أساء إليه، ويغفر ويعفو عمن ظلمه، بل ويقابل السيئة بالحسنة لأن في ذلك إنهاءً للنزاعات والخصومات بين الناس، ودفعاً لأسباب العداوة والبغضاء، وتوطيداً لأسس العلاقات الاجتماعية، وترويضاً للنفوس على الحب والخير، وهو ما يكون سبباً – بإذن الله تعالى – من الأسباب المعينة على الوقاية من الحقد والحسد والغل والضغينة بين الناس.

خامساً: الوقاية بالتمسك بخلق التواضع ولين الجانب:

من أهم الاجراءات والتدابير الواقية من الحسد، الدافعة لأسبابه ودواعيه، والمعينة على سلامة القلوب منه، والتي حرص الإسلام على تدعيمها وغرسها وبيان فوائدها الجليلة وما لها من عواقب حميدة التحلي بخلق التواضع والرفق ولين الجانب للمؤمنين.

فالتواضع واللين في المعاملة، من أبرز دواعي الألفة والمحبة بين المسلمين، تتآلف به القلوب المتنافرة، وتتقارب به النفوس المتباعدة، وتحيا به القلوب الميتة وتتطهر به من أدرانها حقداً أو حسداً أو نحو ذلك، وبه يتحول العدو اللدود إلى صديق حميم ،كما قال – تعالى –: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (١)، وقال تعالى: وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ (٢).

وقد كان النبي – ﷺ – وهو قدوة المؤمنين جميعاً متواضعاً خافض الجناح لين الجانب، إذا جلس بين أصحابه كان كأحدهم فيأتي قاصده فلا يعرفه، وإذا سار مع أصحاه كان كأحدهم، لا يتعالى ، ولا يترفع عليهم، ولا يعطى لنفسه امتيازاً إلا ما تقتضيه طبيعة القيادة، والأمر والنهى ممتثلاً في كل ذلك في قوله تعالى: وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (٣).

---

١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

٣) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ :" كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ" (١).

وهكذا كان النبي – ﷺ – يأخذ نفسه بخلق التواضع ولين الجانب في غير مذلة وهوان، ويأمر أتباعه – أيضاً – بالأخذ به، فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ (٢) أنه قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"(٣).

وما كان النبي – ﷺ – ليأخذ نفسه بهذا الخلق العظيم ، ويدعو أتباعه إلى التمسك به إلا يقيناً منه – ﷺ – أنه وسيلة من أنجع الوسائل التي بها تزداد القلوب محبة ، والمجتمع ترابطاً.

فحرى بكل مسلم أن يلزم هذا الخلق العظيم ، ولا يحيد عنه ، لأنه يجذب القلوب ويستميلها ، وينفث روح الألفة والمودة فيها ، وكذلك يغرس مشاعر الحب وعواطف الود بين الإخوة ، وحري به – أيضاً– أن يلزم اجتناب التعالي عليهم، ويحذر كل الحذر من التأفف والنفور من مظهر بعض المرضى والعاجزين، والمتخلفين في معاشهم، لأنه يوغر الصدور غلاً وحقداً، ويملؤها غيظاً وحنقاً، ويغرس فيها بذور العداوة والبغضاء ومن ثم الحسد.

سادساً: الوقاية بالتزام الكلام الطيب والقول الحسن:

من أنجع الوسائل الوقائية من الحسد وأسبابه، الالتزام بالكلام الطيب والقول الحسن، لأنها تعين على سلامة الصدر وخلوه من الأحقاد والضغائن، وبالتالي تقضى على النزاعات والخلافات والعداوات بين الناس، وتورث المحبة والمودة، ومن ثمَ تستقيم بها القلوب، وتصح عليها النفوس.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقاق والورع/ باب: رقم (٤٦)، ح رقم (٢٤٩٠)(٣٧٠/٤) واللفظ له، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وابن ماجة في كتاب: الأدب/ باب: إكرام الرجل جليسه، ح رقم (٣٧١٦)(٣١٢/٣) مثله، والبغوي في شرح السنة، ح رقم (٣٦٨٠).

(٢) هو عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجيه بن عقال، سكن البصرة، وروى عن النبي –ﷺ– وروى عنه مطرف بن عبد الله وآخرون (يراجع: الإصابة، ٣ : ٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها واهلها/ باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح رقم (٦٤ – ٢٨٦٥)(٥٠٥/٤) ضمن حديث.

وعلى النقيض فالكلام الخبيث، والقول الفاحش يوغر الصدور ويملؤها بالحقد ، فيكون سبباً للتحاسد والتدابر، فإذا تمكن المرء من التخلص منهما، والبعد عنهما كان ذلك سبباً – بعون الله – تعالى – على سلامة صدره وطهارة قلبه.

ومن هنا حث الإسلام على إلانة القول وخفض الجناح وإطراح نزغات الشيطان، فأمر الله تعالى عباده المؤمنين:[أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم، وكان هذا النزغ سبباً في وقوع الشر والمخاصمة والمقاتلة بينهم] (١)، فقال تعالى: وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ (٢).

ومن أجل ذلك أمر النبي – ﷺ – المسلمين أن يتكلمون بالخير أو يكفوا ألسنتهم، وجعل ذلك واجب المؤمن وعلامة إيمانه الحقيقي فقال – ﷺ – : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "(٣).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو– رضي الله عنهما – قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " (٤).

فلا يتم الإسلام الحقيقي للمسلم إلا إذا كف أذاه عن إخوانه المسلمين، وسلمهم من شر لسانه ، وفى ذلك وحدة المسلمين وترابطهم، ونزع الحقد والحسد من نفوسهم.

ومما سبق من شواهد يتبين لنا مدى حرص الإسلام على الكلمة الطيبة والقول الحسن، لأنها وسيلة ناجعة للوقاية من الحسد وسلامة الصدر منه.

ومما يدعو إلى الأسف أن كثيراً من الناس يستهينون بهذه الوسيلة، فيطلقون لألسنتهم العنان تتناول من تشاء بما تشاء من الأوصاف والنعوت في غفلة منهم عما في ذلك من أخطار تتهدد كيان المجتمع بما تثيره من أحقاد وضغائن، وعداوات وخصومات فتكون سببا لوقوع الحسد بينهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٩ : ٢٨، بتصرف يسير.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب/ باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذى جاره، ح رقم (٦٠١٨)(١٤٩/٤) جزء من حديث، ومسلم في كتاب: الإيمان/ باب: الحث على إكرام الضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، ح رقم (٧٤ – ٤٧)(٧٥/١) مثله كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان/ باب: أي الإسلام أفضل، ح رقم (١)(٢٣/١) واللفظ له، ومسلم في كتاب: الإيمان/ باب: تفاضل الإسلام، ح رقم (٦٦ – ٤٢)(٧٢/١).

وبهذا يتأكد لنا ان سلامة اللسان من آفاته بإلانة الكلام، وإصلاح الأقوال سبباً من الأسباب المعينة على الصلاح العام، واستقامة جميع الجوارح لله تعالى، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، فعن النبي – ﷺ – قَالَ: "إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا" (١).

سابعاً: الوقاية بقطع جذور المعاملات الاقتصادية غير المشروعة:

من وسائل الوقاية الناجعة من الحسد وغيره من الأدواء الظاهرة والعلل الباطنة أن يتعامل المرء مع غيره من الناس على أسس شرعية سليمة، وقيم من الخلق الرفيعة، فيمتنع من بينهم التشاحن، والتخاصم، ويرتفع من نفوسهم الحقد والحسد والعداوة والبغضاء.

ومن أجل ذلك نهى الإسلام عن عدة أمور من شأنها أن توغر الصدور، وتملأ النفوس كراهةً وبغضاً ، وتفسد القلوب بعضها على بعض، في البيع والشراء، وغيره من سائر المعاملات الاقتصادية ومنها:

أولاً: التعامل بالربا (٢):

فمن تلك المعاملات الاقتصادية التي حرمها الإسلام أشد التحريم لما يترتب عليها من الحاق الأذى والضرر بالمسلمين: جريمة الربا؛ "لأنها تزرع الأحقاد، والحزازات في النفوس بين أفراد المجتمع، وتقطع ما بينهم من أواصر الأخوة والمحبة والتعاون على الخير " (٣).

---

١) أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد/ باب: ما جاء في حفظ اللسان، ح رقم (٢٤٠٧)(٤/٣٣١) واللفظ له، وقال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه، وأحمد في مسنده، ح رقم (١١٨٤٧)(١٠/٣٠١) مثله.

وقوله (**تكفر اللسان**): المراد بها تذل وتخضع[النهاية، لابن الثير، مادة (كفر)] .

٢) **الربا:** هو أخذ زيادة من مال من جنس واحد كيلا أو وزنا أو نوعاً بدون مقابل وسواء كانت المعاملة فورية أو مؤجلة، فإذا أعطى امرؤ آخر ذهباً أو فضةً أو براً أو تمراً، وأخذ بدل الذهب ذهباً ،والفضة فضةً، والبر براً، والتمر تمراً بزيادة ما، فالزيادة هي الربا المحرم، ولو كان الأداء فورياً ولا مانع من أخذ الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر إذا روعي في ذلك المساواة التامة جنساً ووزناً أو كيلاً، أما إذا أعطى امرؤ ذهباً فتقاضى بدله فضة أو شعيراً أو تمراً ، فالزيادة في الوزن والكيل والنوع هي حلال لأن العملية تكون عملية بيع وشراء سواء كانت مؤجلة أم فورية. [يراجع: الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة، مُحَمَّد عزة دروزة، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١ : ٣٨٧ – ٣٨٨]

٣) حلول لمشكلة الربا، د. مُحَمَّد أبو شهبة، ط: ١، مكتبة السنة، القاهرة، ص: ١٨.

فلاشك أن التعامل بالربا مدعاة لتمزيق المجتمع وتفريق كلمته وتفتيت وحدته، بزرع الحقد والحسد بين طبقاته، حيث يزداد الغنى حرصاً وجشعاً واحتكاراً، واستغلالاً لحاجة الفقير، ويزداد الفقير حقداً وحسداً وبغضاً للغنى الذى أخذ منه ماله وأكله بغير وجه حق.

فدرءاً لهذه المفاسد والأضرار ووقايةً مما يترتب عليها من تحاسد وتدابر أعلن الإسلام تحريمه للربا، وبالغ في النكير على المتعاملين به، والأصل في تحريمه قوله – تعالى ـ : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[1].

كما توعد الله – عز وجل – من يتعامل بالربا بمحاربة الله ورسوله– ﷺ – له في الدنيا ، وبالإثم العظيم والعذاب الأليم في الآخرة، فقال – تعالى – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[2].

كما جاءت السنة النبوية لتؤكد تحريم الربا، وتبين للناس مدى شناعته، وسوء عاقبة المتعاملين به في الآخرة، فقص النبي – ﷺ – على أصحابه رؤيا طويلة رآها في منامه – ورؤيا الأنبياء وحي – ، فقال – ﷺ – : "رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ :الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا" [3].

وقد بلغ بالنبي – ﷺ – في تحريمه للربا، أن أعلن اللعن على كل من شارك في هذا العمل، آكله وموكله، وكاتبه ، وشاهديه، والساعي فيه، والمعين عليه،

---

[1]) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

[2]) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨ ، ٢٧٩.

[3]) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع/ باب: آكل الربا وشاهده وكاتبه ، ح رقم (٢٠٨٥)(١٢٤/٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب: الرؤيا/ باب: رؤيا النبي –ﷺ– ،ح رقم (٢٢٧٥)(٨٦/٤) مختصراً كلاهما عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ مرفوعاً.

فعن عبدالله بن مسعود – رضى الله عنه – قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ وَشَاهِدَهُ وَكَاتِبَهُ" (١).

ومما سبق من شواهد يتضح لنا أن تحريم الإسلام للربا وقطعه لجذور هذه المعاملة غير المشروعة من أهم الاجراءات الوقائية من الوقوع في داء الحسد البغيض.

وعليه، فليكن كل مسلم على حذر وحيطة من تلك المعاملة الاقتصادية غير المشروعة، فيغلق كل منفذ ممكن أن يصل منه إليها، فيظل بذلك المجتمع الإسلامي نظيفاً سليماً خالياً من التنغيص وتعكير الصفو، والإيذاء للغير، ويعم فيه الأمن والرخاء، وما يخاف فيه أحد من آخر ظلماً ولا حيفاً، وما يكن في الصدور غلاً ولا حقداً، ولا حسداً.

ثانياً: البيوع الفاسدة :

فحرصا من الإسلام على صلاح النفوس، وتآلف القلوب، ودفع الفساد، وسد باب النزاع والتخاصم بين الناس، حرم الإسلام مجموعة من البيوع من شأنها أن توغر الصدور، وتورث الحقد والحسد والضغينة، لما تنطوي عليه من كذب وغش وخديعة ومكر وغدر وغرر، وبخاصة أن الإسلام حذر من هذه الخلال الذميمة واستهجن أهلها وتوعدهم العذاب الأليم، والعقاب الشديد، فقال – تعالى – : وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا (٢)، وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ خِبٌّ وَلَا مَنَّانٌ وَلَا بَخِيلٌ"(٣)، كما تبرأ النبي – ﷺ – ممن يغش ويخدع في معاملاته واعتبره ليس من جماعة المؤمنين، فقال – ﷺ – : " وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا " (٤).

---

١) أخرجه مسلم في كتاب: المساقاة/ باب: لعن آكل الربا وموكله، ح رقم (١٥٩٧) (٤ / ٢٥٦) بنحوه، وأبو داود في كتاب: البيوع/ باب: في آكل الربا وموكله، ح رقم (٣٣٣٣)(١٤٤٨/٣) واللفظ له، والترمذي في كتاب: البيوع/ باب: ما جاء في آكل الربا، ح رقم (١٢٠٦)(٣٣٣/٣) مثله سواء، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

٣) أخرجه الترمذي في كتاب: البر والصلة/ باب: ما جاء في البخيل، ح رقم (١٩٦٣)(١١٥/٤) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وأحمد في مسنده، ح رقم (٣٢)(١٨١/١) بلفظه زاد " ... ولا سيء الملكة، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده " .

٤) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان/ باب: قول النبي – ﷺ – : " من غشنا فليس منا " ، ح رقم (١٠١)(١٠٦/١) جزء من حديث طويل عن أبي هريرة.

وقد أشار النبي – ﷺ – إلى ألوان وصنوف من البيوع ونهى أمته عن التعامل بها كوسيلة من الوسائل الوقائية من الحسد والتي تعين على سلامة الصدر منه وكذا خلوه من الأحقاد والضغائن ومنها:

١– بيع ما لا يحل الانتفاع به:

فحرصاً من الإسلام على المال وحمايته، وقطعاً لجذور المعاملات الاقتصادية الباعثة على الحقد والحسد والضغينة، وكل ما من شأنه أن يلحق الأذى والضرر بالناس، نهى الإسلام عن بيع ما لا يحل الانتفاع به كالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير والأصنام، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ :سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ :" إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ«، فَقِيلَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ» :لاَ، هُوَ حَرَامٌ..." (١).

وكما حرم الله – تعالى – تناول الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير في قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (٢)، وقوله تعالى: حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾ (٣)، حرم – أيضاً – ملكها والانتفاع بها بيعاً وشراءً (٤).

هذا، وقد نهى النبي – ﷺ – أيضاً عن ثمن الكلب وحلوان الكاهن، ومهر البغي لما في هذه المعاملات الاقتصادية من تضيع للمال وإهداره ، إذ لا يحل الانتفاع بها فوضع الثمن فيها إضاعة للمال،

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع/ باب: بيع الميتة والأصنام، ح رقم (٢٢٣٦)(٢/٨٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب: المساقاة/ باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، ح رقم (٧١ – ١٥٨١)(٣/٦٢) مثله سواء.

٢) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١١:٦ – ٨، وفتح الباري، ٤ : ٤٩٦ – ٤٩٧.

كما أن الاتجار بالفاحشة والمتع السيئة والرذيلة حرام، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكَاهِنِ" ([١]).

قال ابن عبد البر – رحمه الله – تعليقاً على هذا الحديث: " في هذا الحديث ما اتفق عليه، وفيه ما اختلف فيه، فأما مهر البغي، والبغي: الزانية، ومهرها: ما تأخذ على زناها، فمجتمع على تحريمه، وأما حلوان الكاهن فمجتمع على تحريمه أيضاً، قال مالك: وهو ما يعطى الكاهن على كهانته ، والحلوان في كلام العرب: الرشوة والعطية...، أما ثمن الكلب، فمختلف فيه، فظاهر هذا الحديث يشهد لصحة قول من نهى عنه وحرمه، وأما اختلاف العلماء في ذلك فقال مالك في موطأه: أكره ثمن الكلب الضاري وغير الضاري، لنهى رسول الله – ﷺ– عن ثمن الكلب، ولا يجوز بيع شيء من الكلاب، ويجوز أن يقتنى كلب الصيد والماشية، وقال أبو حنيفة وأصحابه: بيع الكلاب جائز! إذا كانت لصيد أو ماشية، كما يجوز بيع الهر، وقال الشافعي: لا يجوز بيع الكلاب كلها، ولا شيء منها على حال كان لصيد أو لغير صيد..."([٢]).

٢– بيع الغرر، والحصاة ، وحبل الحبلة، والأشياء المجهولة الكم والكيف:

فسداً لباب التعامل بكل شيء يجر شراً أو فساداً فيكون سبباً لقطع أواصر المحبة والإخاء، ونشر بذور التشاحن والبغضاء نهى النبي – ﷺ – عن بيع الغرر ([٣]) والحصاة ([٤]) والنجش ([٥]) وحبل

---

[١]) أخرجه البخاري في كتاب: الإجارة/ باب: كسب البغي والإماء، ح رقم (٢٢٨٢)(١٩٧/٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب: المساقاة/ باب: تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن، ح رقم (٣٩ – ١٥٦٧)(٥٣/٣) مثله سواء.

[٢]) التمهيد، ابن عبد البر، ١٢ : ١٨٥ – ١٨٧ بتصرف يسير.

[٣]) **الغرر**: بفتح العين والراء المتكررة معناه: الخداع الذى هو مظنة أن لا رضا به عند تحققه فيكون من أكل المال بالباطل (سبل السلام، ٣ : ١٨)، وعرفه د. وهبة الزحيلي فقال: " يتناول الغش والخداع والجهالة بالمعقود عليه ، (الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط: ٤، ١٩٩٧م، ٤ : ١٦).

[٤]) **بيع الحصاة**: قيل: هو أن يقول ارم بهذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم، وقيل هو أن يبيعه من أرض قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة، وقيل: هو أن يقبض على كف من حصا ويقول لي بكل حصاة درهم [يراجع: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠ : ١٥٦، وسبل السلام، ٣ : ١٨].

[٥]) **بيع النجش**: هو أن يعلى سعر السلعة من لا يرغب في شرائها إما لنفع البائع بزيادة الثمن له، أو الاضرار بالمشترى بتكليفه ثمن باهظ (يراجع: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠ ، ١٥٩، وفتح الباري، ٤ : ٤١٦، وسبل السلام، ٣ : ٢٣).

الحبلة ([1]) وبيع الثمر قبل بدو صلاحه، وبيع الأشياء المجهولة الكم والكيف لما في هذه المعاملات الاقتصادية غير المشروعة من إضاعة للمال، ولما تنضوي عليه من غش وتدليس، وخداع وجهالة، وإيقاع الضرر بالآخرين مما يجعلها مدعاة للنزاع والشقاق والخصام فتوغر بها الصدور وتملأ بها القلوب حقداً وحسداً وغلاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ :"نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ" ([2])، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ :"نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّجْشِ" ([3]).

وعنه – أيضاً – : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "نَهَى عَنْ بَيْعِ حَبَلِ الحَبَلَةِ"، وَكَانَ بَيْعًا يَتَبَايَعُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ، كَانَ الرَّجُلُ يَبْتَاعُ الجَزُورَ إِلَى أَنْ تُنْتَجَ النَّاقَةُ، ثُمَّ تُنْتَجُ الَّتِي فِي بَطْنِهَا ([4])

ومن البيوع التي نهى عنها النبي – ﷺ – كذلك: بيع الثمر قبل بدر صلاحه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرَةِ حَتَّى تُزْهِيَ"، قَالُوا :وَمَا تُزْهِيَ؟ قَالَ :" تَحْمَرُّ"، فَقَالَ :" إِذَا مَنَعَ اللهُ الثَّمَرَةَ فَبِمَ تَسْتَحِلُّ مَالَ أَخِيكَ؟" ([5])،

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى يَبْدُوَ صَلاَحُهَا، نَهَى البَائِعَ وَالمُبْتَاعَ" ([6]).

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – معلقاً على هذا الحديث:" نهى البائع والمشترى، أما البائع: فلئلا يأكل مال أخيه بالباطل، وأما المشترى: فلئلا يضيع ماله ويساعد البائع على الباطل ([1]).

---

[1]) **حبل الحبلة:** اختلف العلماء في المراد بالنهى عن بيع حبل الحبلة، فقال جماعة: هو البيع ثمن مؤجل إلى أن تلد الناقة ويلد ولدها، وبه قال مالك والشافعي ومن تابعهم، وقال آخرون: هو بيع ولد الناقة الحامل في الحال، وبه قال أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وهذا البيع باطل على التفسيرين، فأما الأول: فلأنه بيع بثمن إلى أجل مجهول، والأجل يأخذ قسطاً من الثمن، وأما الثاني: فلأنه بيع معدوم ومجهول وغير مملوك للبائع، وغير مقدور على تسليمه [يراجع: المنهاج على شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٠ : ١٥٦ – ١٥٨ بتصرف].

[2]) أخرجه مسلم في كتاب: البيوع/ باب: بطلان بيع الحصاة والبيع الذى فبه غرر، ح رقم (٤ – ١٣١٥)(٦/٣).

[3]) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع/ باب: النجش، ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، ح رقم (٢١٤٢)(١٤٨/٢) واللفظ له، ومسلم في كتاب: البيوع/ باب: تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، وسومه على سومه، ح رقم (١٣ – ١٥١٦)(٩/٣) مثله سواء.

[4]) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع / باب: بيع الغرر وحبل الحبلة ، ح رقم (٢١٤٣) (٢/ ١٤٨) واللفظ له ، ومسلم في كتاب : البيوع / باب: تحريم بيع حبل الحبلة ، ح رقم (٥، ٦ – ١٥١٤) (٧/٣) بنحوه.

[5]) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع/ باب: إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، ح رقم (٢١٩٥)(١٦٤/٢) مختصراً، ومسلم ومسلم في كتاب: المساقاة/ باب: وضع الجوائح، ح رقم (١٥ – ١٥٥٥) (٤٤/٣) واللفظ له.

[6]) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع/ باب: بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، ح رقم (٢١٩٤)(١٦٣/٢ – ١٦٤).

وكذلك نهى النبي– ﷺ – عن بيع الأشياء التي لا يعلم مقدارها لما فيه من الغبن والخداع الذى يأباه الشرع، وتنفر منه الفطر السليمة السوية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ :" نُهِيَ عَنْ بَيْعَتَيْنِ الْمُلَامَسَةِ، وَالْمُنَابَذَةِ"، "أَمَّا الْمُلَامَسَةُ: فَأَنْ يَلْمِسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَوْبَ صَاحِبِهِ بِغَيْرِ تَأَمُّلٍ، وَالْمُنَابَذَةُ :أَنْ يَنْبِذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَوْبَهُ إِلَى الْآخَرِ، وَلَمْ يَنْظُرْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَى ثَوْبِ صَاحِبِهِ" (٢).

قال الإمام النووي – رحمه الله – : " واعلم أن بيع الملامسة وبيع المنابذة وبيع حبل الحبلة وبيع الحصاة، واشباهها من البيوع التي جاء فيها نصوص خاصة، هي داخلة في النهى عن بيع الغرر، ولكن أفردت بالذكر ونهى عنها لكونها من بيوع الجاهلية المشهورة " (٣).

٣– بيع المسلم على بيع أخيه وشرائه على شراء أخيه، وكذا سومه على سوم أخيه (٤)

فحرصاً من الإسلام على تدعيم سبل الوقاية من داء الحسد وما يترتب عليه من قلق ونزاع وخصام بين الإخوة، حرم بيع المسلم على بيع أخيه، وسومه على سوم أخيه، غلقاً لأبواب الأذى والضرر، وتجفيفاً لمنابع الحقد والحسد، فعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ " (٥)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" لَا يَسُمِ الْمُسْلِمُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ" (٦).

---

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤ : ٤٦٢.

٢) أخرجه مسلم في كتاب: البيوع/ باب: إبطال بيع الملامسة والمنابذة، ح رقم (١٥١١)(٦/٣)

٣) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط: المطبعة الأميرية، ١٠ : ١٥٦ – ١٥٧ بتصرف.

٤) **البيع على البيع**: أن يكون قد وقع البيع بالخيار، فيأتي في مدة الخيار رجل فيقول للمشترى: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أحسن منه، وكذا الشراء على الشراء: هو أن يقول للبائع في مدة الخيار افسخ البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن.

أما صورة السوم على السوم : أن يكون قد اتفق مالك السلعة والراغب فيها على البيع ولم يعقد ، فيقول آخر للبائع أنا أشتريه منك بأكثر بعد أن كانا قد اتفقا على الثمن، وقد أجمع العلماء على تحريم هذه الصور كلها وأن فاعلها عاص [سبل السلام ، للإمام الصنعاني ، ٣: ٢٩).

٥) أخرجه البخاري في كتاب: البيوع/ باب: لا يبع على بيع أخيه ولا يسوم على سوم أخيه، ح رقم (٢١٤٠)(١٤٦/٢ – ١٤٧) مثله وللحديث بقية، ومسلم في كتاب: النكاح/ باب: تحريم الخطبة على خطبة أخيه، ح رقم (١٤١٢)(٤٦٩/٢) مثله وللحديث بقية، وفى كتاب: البيوع/ باب: تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، ح رقم (١٥١٥)(٧/٣) واللفظ له.

٦) أخرجه مسلم في كتاب: البيوع/ باب: تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، ح رقم(١٥١٥)(٨/٣).

وهكذا، ومما سبق من شواهد يتبين لنا مدى حرص الإسلام على قطع جذور المعاملات الاقتصادية غير المشروعة كإجراء وقائي من الوقوع في داء الحسد وما يترتب عليه من فساد خلقي واجتماعي.

ثامناً: الوقاية من الحسد بالتزام الطاعات

فمن أسباب الوقاية الناجعة من الحسد وغيره من الأدواء الباطنة والظاهرة التزام المرء بطاعة ربه – عز وجل – ؛ لما لها من تأثير قوى في إصلاحه وتقوية إيمانه، وشحذ عزيمته، وتربية إرادته، وتحليته بالصفات الطيبة، كالإخلاص والصدق، والحلم، والتواضع ، واللين، والبر والإحسان، والسماحة والكرم وغيرها، وكذلك تطهيره من الصفات المرذولة مثل الرياء والكبر والعجب، والحسد والغل، والشح والبخل، ونحو ذلك من الموبقات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بركات الطاعة ومميزاتها إجمالاً حين قال: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ (١).

إن أمر الطاعات عموماً من صلاة وزكاة وصوم وحج وغيرها له أثر بالغ في وقاية الفرد والمجتمع من أدواء الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ومن ثم إنهاء النزاعات والخلافات والخصومات.

فإذا كان المرء بالشهادتين يدخل الإسلام، فإنه بالصلاة قد أوفى بالجانب المهم في عهده مع الله، وتوثيق صلته بالذي خلقه، وصوره وشق سمعه وبصره، وبالصوم ربى لسانه على الاستقامة، وقوى وازعه الديني ، وراقب ربه ، فأمن المجتمع شره وبوائقه، واستراح من شروره، وهو بالزكاة والصدقات يبدأ عهداً جديداً مع إخوانه في الدين وشركائه في المجتمع، عهداً يرفرف عليه رايات الحب، ويغمره التعاون والتراحم، ويقضى فيه على الخلافات والصراعات، وهو بالحج يتربى على الأخلاق الفاضلة من تقوى وخشية، وعدم تكبر وتواضع، فيقي مجتمعه بذلك كل أسباب التفرق والتمزق والتشتت.

وبهذا يتضح لنا أن للطاعات أثراً طيباً في القضاء على الأحقاد والضغائن، والتحاسد والتدابر، من ثم حث الإسلام عليها، ورغب فيها لما لها من دور عظيم في تحقيق الخير والصلاح للفرد والمجتمع.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

المبحث الثاني

الوقاية بالأخذ بأسباب ووسائل التحرز من الحسد

المطلب الأول

وسائل التحرز الخاصة بالحاسد:

إن الحسد – كما تقدم – من الأمراض الفاتكة يقضى صاحبه حياته بين الهم والشقاء، والألم والعذاب كلما رأى المحسود يظفر بنعمة أو يفوز بمنصب، وشق عليه ذلك.

فالتحرز من هذ الآفة مرغوب بل ومطلوب ، ويكفى المرء أن يعلم أن القلب النقي الطاهر من تلك الرذيلة يعد صاحبه من خير الناس وأفضلهم في الحياة الدنيا، وهو في الآخرة من المبشرين بالجنة، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ :قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ» :كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ « قَالُوا :صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ» :هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ " (١).

فمتى كان قلب المرء خالياً نظيفاً من هذه الآفة التي تكدره نال الشرف والخيرية فأصبح أفضل الناس وأكرمهم وأتقاهم عند الله، أما في الآخرة فقد بشره النبي – ﷺ – بالجنة دار النعيم والسلام ثلاث مرات، فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ " :يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ :إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ :نَعَمْ .قَالَ أَنَسٌ :وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ .قَالَ عَبْدُ اللهِ :غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ :يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ " :يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ

---

(١) الحديث صحيح كما تقدم تخريجه في ص:٢٩

إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ :مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ .قَالَ :فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ :مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ (١).

فهذا الصحابي الجليل – رضى الله عنه – لم يتميز عن غيره بكثير صلاة أو صيام، بل الذى بلغ به ما بلغ طهارة قلبه من الغش والحقد والحسد، فطوبى لمن طهر قلبه، وزكا عن الأحقاد والضغائن، وسلم صدره من الحسد، ولم ينقص إخوانه شيئاً من حقوقهم عليه.

وعليه، فمن الواجب على من يطلب السعادة والراحة في الدنيا والآخرة بطهارة قلبه من أرجاسه ونفاياه يحرص على اتخاذ التدابير الاحترازية من الوقوع في هذه الآفة القلبية التي هي منبع للشرور والآثام، ومن تلك التدابير الاحترازية:

أولاً: لجوء الحاسد إلى الله – عز وجل – بالدعاء ليخلصه من هذه الآفة.

فعلى كل مسلم حريصُ على الشفاء من داء الحسد، والنجاة منه، أن يلتجأ إلى الله عز وجل ويستغيث به عن طريق الدعاء، كما قال – تعالى – : وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ (٢) ليخلصه سبحانه من حسد قلبه، وكل ما من شأنه أن يوغر الصدور ويغلها على المسلمين.

فقد امتدح الله – عز وجل – في كتابه العزيز من لجأ إليه من المؤمنين رافعاً أكف الضراعة إلى الله راجياً منه – سبحانه – النجاة من البغض والحسد للمؤمنين فقال تعالى: وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ (٣)

ولهذا كان من دعاء النبي – ﷺ – : " رب ... ، واسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي " (٤).

---

١) أخرجه أحمد في مسنده، ح رقم (١٢٦٣٣)(١٠/٥٣٦-٥٣٧)،قال العراقي: رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين (تخريج الإحياء، ٢: ٢٣٥)

٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

٤) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة/ باب: ما يقول الرجل إذا سلم، ح رقم (١٥١٠)(٢/٦٥٣) واللفظ له ضمن حديث طويل، والترمذي في كتاب: الدعوات/ باب: في دعاء النبي –ﷺ– ، ح رقم (٣٥٥١)(٥/٣٧٥) مثله سواء، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب: الدعاء/ باب: دعاء النبي –ﷺ– ح رقم (٣٨٣٠)(٣/٣٥٠) مثله سواء،

وكان – ﷺ – يسأل ربه أن يثبت قلبه على الطاعة، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ :كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ :" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، فَقُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَاجِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ :" نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ"(١).

فإن القلب إذا ثبت واستقر على الطاعة وعمر بالتقوى طهر عن خبائث الأخلاق، وتخلى عن الضغائن والأحقاد ، وزكا عن الغل والحسد، وبصلاحه هذا تصلح أعمال الجوارح كلها فتجتنب المحرمات ويتورع عن الشبهات، أما إذا فسد القلب، وغلب عليه الأهواء والشهوات فسدت أعمال الجوارح كلها، ووقع الإنسان في المعاصي والمحرمات.

وقد أشار النبي – ﷺ – إلى ذلك، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ :"إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (٢)

وبعد، فقد تبين لنا – بحمد الله – أن تلك الآفة القلبية (الحسد) وما يتولد عنها من أمراض توغر الصدور، وتورث الغل والحقد بين المسلمين، لابد لكل مسلم أن يحترز من الإصابة بها، ومن الوسائل التي تعينه على ذلك الدعاء، فهو سلاح المؤمن، ولا ينبغي له أن يغفل عنه، بل عليه أن يوليه عناية تامة، وأن يستفيد منه قدر وسعه، وحسب طاقته فيدفع به عنه الحقد والحسد ويبيت طيب السريرة، نقى الطوية، لا يكن في قلبه لأخيه المسلم غلاً ولا حسداً.

وأحمد في مسنده، ح رقم (١٩٩٧)(٤٧٨/٢ – ٤٧٩) مثله سواء، **وقوله (واسلل)**: بضم اللام الأولى أي: أخرج، وقوله **(سخيمة قلبي)**: أي غشه وغله وحقده وحسده ونحوها مما ينشأ من الصدر، ويسكن في القلب من مساوئ الأخلاق (عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣ : ٢٣٩).

١) أخرجه الترمذي في كتاب: القدر/ باب: ما جاء أن القلوب بين أُصبعي الرحمن، ح رقم (٢١٤٠)(٢٠١/٤) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث" حسن"، وابن ماجة في كتاب: الدعاء/ باب: فضل الدعاء، ح رقم (٣٨٣٤)(٣٥١/٣-٣٥٢) مثله، واحمد في مسنده ، ح رقم (٢٤٤٨٥) (٣٨٠/١٧) ، والحاكم في المستدرك في كتاب: الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر، ح رقم (١٩٦٣)(٨٣/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

٢) الحديث صحيح، كما تقدم في ص:٢٦

ثانياً: دعاء الحاسد للمحسود

١– الدعاء بظهر الغيب:

إن مما يعين المرء على أن يطهر قلبه من آفة الحسد البغيضة، ومن كل شيء يثير الحقد والكراهية بين الناس، دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب؛ لما يغرسه من مشاعر الحب في أعماق النفوس، وما يملؤه من نور الألفة والمودة في حنايا الصدور.

ومن أجل ذلك أعلى النبي – ﷺ– من شأن هذا الدعاء، فكان – ﷺ – يطلب من صحابته الدعاء له بظهر الغيب، فعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ : " لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ"، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا (١).

وقد نوه النبي – ﷺ – بفضل هذا الدعاء كثيراً ووعد صاحبه بالثواب العظيم، والعطاء الجزيل، وحسبك أن من دعا لأخيه بظهر الغيب دعا له ملك بمثل دعوته لأخيه، وأمنت الملائكة على دعائه، وكانت دعوته مستجابة لا ترد، لأنه تنعم بدعاء الملك له بلسان لم يعص الله قط.

وقد تولت السنة النبوية الشريفة بسط ذلك وإيضاحه، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ : وَلَكَ بِمِثْلٍ" (٢).

كل ذلك ليعالج الإسلام إحن الصدور وغل النفوس، ويطهرها من حقدها وحسدها وسائر آفاتها، ويملؤها بنور الحب ومشاعر الود.

فمن الواجب على كل مسلم حريص على النجاة من آفة الحسد، وما ينتج عنها من عواقب غير مرضية، وآثار سيئة، أن يفطن لأهمية الدعاء بظهر الغيب لمن وقع في قلبه حسداً تجاهه كإجراء احترازي وقائي من توغل الحسد في قلبه وتحوله إلى البغي والعدوان، ولا يذهل عن هذا الدعاء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لما فيه من تأليف للقلوب، وصيانة لها من أسباب التشاحن والتحاسد.

٢– الدعاء للمحسود بالبركة:

---

١) أخرجه أبوداود في كتاب: الصلاة/ باب: الدعاء، ح رقم (١٤٩٨)(٢/٦٤٧-٦٤٨) واللفظ له، والترمذي في كتاب: الدعوات/ باب: رقم (١١٠)، ح رقم (٣٥٦٢)(٥/٣٨٠) بنحوه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب: المناسك/ باب: فضل دعاء الحاج، ح رقم (٢٨٩٤)(٣/٩) بنحوه.

٢) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة/ باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، ح رقم (٢٧٣٢)(٤/٣٩٩).

إن الحاسد نفسه في حاجة إلى أن يلجأ إلى الله – تعالى – ليمنع إصابة عينه للمحسود ، لأنه قد يؤثر بعينه ضرراً في جسمه أو في ماله أو في أعز ما لديه بمجرد توجه شهوته إلى نعمة يرجوها ويحرص عليها لدى المحسود.

فمن الواجب على كل مسلم رأى أخاً له مسلماً قريباً كان أو بعيداً رزق بصلاح أو مال أو ولد ، أو غيرها من النعم أن يفزع إلى الله – تعالى – ويلجأ إليه بالدعاء بأن يعافيه ويكسر سهام عينه قبل أن تصل إلى نعم الآخرين فتصيبهم ويدعو لهم بالبركة فيها كأن يقول: " ما شاء الله لا قوة إلا بالله " ، وقد وجهه القرآن الكريم إلى هذا اللجوء بقوله – تعالى –وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ (١)

وكأن يقول : " تبارك الله أحسن الخالقين أو اللهم بارك له فيه كما وجه بذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله: " ذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ" (٢).

فهذه الأدعية بالبركة هي التي تقي المسلم وتحميه – بإذن الله تعالى – من الحسد.

وعليه ، فحري بكل مسلم أن يتقي الله – عز وجل – إذا أعجبه شيء، وأن يدعو بالبركة فيه فيقول مثلاً " تبارك الله أحسن الخالقين ، اللهم بارك فيه " لأن ذلك يصرف ضرر عينه وأثرها السيء لا محالة –بإذن الله تعالى–

ثالثاً: الثناء على المحسود وبره والرعاية لحقوقه:

فمن وجد في نفسه حسداً لغيره، فعليه أن يجاهد نفسه ليتخلص من هذا الداء العضال، ويخلص نيته في ذلك والله – عز وجل – سيعينه على ذلك كما وعد – سبحانه – فقال: وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ (٣).

---

١) سورة الكهف ، الآية: ٣٩.

٢) أخرجه مالك في كتاب: العين / باب: الوضوء من العين ، ح رقم (١٧٩٥) (٤٢٨٢) بنحوه ، وابن ماجة في كتاب : الطب / باب: من استرقى من العين ، ح رقم (٣٥٠٩) (٣/ ٢٤٠) مرسلاً ضمن حديث طويل، ووصله ابن أبي شيبة في كتاب: الطب / باب: من رخص في الرقى من العين ، ح رقم (٥) (٥/ ٤٤٨) عن عامر بن ربيعة مرفوعاً.

٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

وإذا قاده الحسد لذم أخيه فليعامل نفسه بنقيض قصدها فيمدحه ويثنى عليه، ويدعو له بالخير، وإن استطاع أن يزيد في الإحسان إليه وبره، ومواساته مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فليفعل.

وفى ذلك يقول الحافظ ابن رجب – رحمه الله– : " وقسم آخرا إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته، وفى الإحسان إلى المحسود، بإبداء الإحسان إليه والدعاء له، ونشر فضائله، وفى إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يبدله بمحبته، وأن يكون المسلم خيراً منه وأفضل، وهذا أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل، الذى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (١).

فإن حب المرء لأخيه ما يحب لنفسه من الأشياء التي يتم بها الدين ويكتمل بها الإيمان، ويصلح عليها أمر الدنيا والآخرة، ويبلغ بها العبد درجات عليا، ويحظى بمنزلة سامية، وإلى ذلك أشار النبي – ﷺ – فيما يرويه عنه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قال : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" (٢).

وعليه، فمن مقتضى الإيمان الكامل الصحيح أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، فيخلص له القول والعمل، ويعاشره عشرة طيبة، لا يضره إن لم ينفعه، ولا يذمه إن لم يثن عليه ويمدحه، وكذا لا يخذله ولا يغشه، ولا يحسده، فيمتلك بذلك قلب أخيه ، ويتخذ مكانة عظيمة في سويدائه، ويأتي الآخر بمثل ما أتى به أخوه حتى يصيرا صديقين مخلصين وفيين.

وليستحضر من مُنى بداء الحسد قول النبي – ﷺ – مبشراً بالنجاة من النار والفوز بالجنة من أحب لأخيه ما يحب لنفسه فيما يرويه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، (٣) قَالَ :دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ :كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، (٤)، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ (٥)، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ :" إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا،

---

١) جامع العلوم والحكم، ص: ٤٨٧ – ٤٨٨.

٢) الحديث صحيح، تقدم تخريجه، ص:١٦.

٣) هو عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة العائدي ، أو الصائدي ، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلى: تابعي ثقة (تهذيب التهذيب، ٢ : ٥٢٨).

٤) يَنتضل: هو من المناضلة وهى المراماة بالنشاب (شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢ : ٢٣٣).

٥) جَشَرِهِ: هي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها (شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢ : ٢٣٣).

وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ :هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ :هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، ..." (١).

وعن يزيد بن أسد القسري (٢) – رضى الله عنه – قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " :أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ؟" ، قَالَ :قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ " :فَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ" (٣).

فذاك النبي – ﷺ يخبر أحد أصحابه بالمطية الذلول إلى الجنة، ويصف له الطريق المفضي بالسالكين عليه إليها بأمان وسلام ودون شقاء وعناء، فعلى من يشتاق لدخولها ويرغب في نعيمها أن يتزود بما يمهد له السبيل إليها ويعينه على السير إليها فيلزمه ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه.

ولن يتخلص الحاسد من حسده إلا إذا اتسم بما يتسم به المؤمن الصادق من العناية بتطهير القلب من الرذائل والدنايا، وتقديم الخير جهد الاستطاعة لأخيه، ويستلزم هذا من الحاسد الرعاية التامة لحق أخيه المحسود فيبقى على ما كان عليه مع أخيه من البشاشة والرفق، والقيام بحاجاته، والمعاونة على المنفعة له، ويشاطره آلامه وأحزانه، ويكف عنه صنوف الأذى وأنواع الضرر، ويأخذ بيده لينقذه من أي خطر، وينصره ويرد غيبته قدر المستطاع، بل ويحض على بره فإن أمسك عن ذلك نقصت درجته في الدين، وحيل بينه وبين فضل عظيم، وعطاء جزيل.

هذا، والضعف البشرى صفة لازمة لنا، ومن منا بلا خطايا أو ذنوب، وقد يبتلى المرء بداء الحسد، فمن وجد في نفسه حسداً لغيره، فمن الواجب عليه أن يجاهد نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويحترز من التمادي فيه، فيدفعه قدر استطاعته ويبقى على ما كان عليه مع أخيه من تآلف وتعاطف ورعاية لحقوقه، وقضاء حوائجه كوسيلة احترازية فاعلة لسلامة الصدر وخلوه من هذا الداء البغيض، وهو بذلك ينال – أيضاً – عون الله تعالى ويظفر بالقرب منه، فعن عبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ

---

١) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة/ باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ح رقم (١٨٤٤)(٣/٣٣٢).

٢)هو يزيد بن أسد بن كرز بضم الكاف وسكون الراء– البجلي، ذكره ابن سعد في الطبقات، والرابعة من الصحابة، قال البخاري: سمع النبي –ﷺ– وقال أبو حاتم الرازي، وأبو عبدالله المقدمي، وابن حبان: له صحبة (الإصابة ، ٣ : ٦٥١).

٣) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب: البر والصلة/ باب: أحب لأخيك ما تحب لنفسك، ٤ : ١٦٨، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد في مسنده، ح رقم (١٦٧٠٤)(١٦٧٠٦)، (٤/٧٠).

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ" (١).

وهكذا، فقد سبق الإسلام كل تشريع وقانون يبنى الأمم، ويصوغ الجماعات، فشرع لأمة الإسلام ما فيه صلاحها وإسعادها من النواحي الخلقية، ومن مظاهر السلوك التي توصد أبواب الأذى وتجفف منابع الآفات التي تغتال مشاعر المحبة والألفة بين المسلمين، فتجعل المسلم يرق لأخيه المسلم، ويألفه، ويحب له ما يحب لنفسه، ولا يحب أو يفرح بزوال النعم عنه، فيتخلص بذلك من حقده وحسده، بل وتستل سخيمة صدره، وضغينة قلبه.

وعليه، فلو رعى الحاسد حقوق المحسود، وقام بأدائها لأنتج ذلك نتاجاً صالحاً، ولأثمر ثمرات نافعة، تسرى بها المحبة في عروقهما، ويعيشا معاً في صفاء ومودة، ونقاء، لا تجد في قلوبهما غلاً ولا بغضاً ولا حقداً ولا حسداً.

رابعاً: استشعار الحاسد لنعم الله عليه وشكره عليها

إن الله – سبحانه وتعالى – خلق الناس متفاوتين في الأرزاق والآجال وفى النعم التي أنعم بها عليهم، لحكم كثيرة كما قال تعالى: نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ (٢).

فالمسلم إن خطر له خاطر الحسد بحكم بشريته ونظر إلى من هو أوفر منه حظاً ويفوقه مالاً ولداً أو جاهاً، عليه ألا يتمادى في هذا الخاطر حتى لا يتحول إلى داء وبيل، وشر مستطير، ولا يستطيع معالجته بعد ذلك إلا بمشقة بالغة، وليستعمل معه ما أمره به النبي – ﷺ – فور وقوعه، فينظر إلى من هو دونه في هذه النعمة، كي يقدر ما فيه من خير حتى ولو كان قليلاً، فيشعر حينئذ بالرضا، ويحمد الله على ما أتاه من فضله، ولا ينظر إلى من هو فوقه حتى لا يستخف نعم الله عليه – وهى كثيرة – ويزدريها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم والغصب/ باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يُسلمه، ح رقم (٢٤٤٢)(٢/٢٦٤) واللفظ له، و مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب/ باب: تحريم الظلم، ح رقم (٢٥٨٠)(٤/٣٠٢) مثله سواء.

٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ" (١)، وعنه – أيضاً – قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ"(٢).

فهذا التوجيه النبوي الكريم من شأنه أن يقي النفس من داء الحسد البغيض الذى يجعل الإنسان دائماً في حالة من النظر إلى الآخرين، ويجمله هذا النظر إلى أن يبذل جهده ليلحق بهم، وما هو بلاحق، لأنه كلما لحق من فوقه نظر إلى من فوقه حتى يموت كمداً، فلا يدرك ما يتمناه، ويعيش عمره كله يعانى من الحقد والحسد، والحرص والطمع، وغير ذلك من الآفات المهلكة التي تحول بينه وبين الصبر والشكر وهما الإيمان كله، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :" خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَصَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا" (٣).

المطلب الثاني

وسائل التحرز الخاصة بالمحسود

أولاً: الصبر على الحاسد واحتمال أذاه

يقول ابن تيمية – رحمه الله – (٤): " ثم هذا الحسد إن عمل بموجبه صاحبه كان ظالماً معتدياً مستحقاً للعقوبة إلا أن يتوب، وكان المحسود مظلوماً مأموراً بالصبر والتقوى، فيصبر على أذى الحاسد ويعفو ويصفح عنه، كما قال – تعالى – وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق/ باب: لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه، ح، رقم (٦٤٩٠)(٣٠٦/٤) واللفظ له، ومسلم في كتاب: الزهد والرقائق/ باب: الزهد، ح رقم (٢٩٦٣)(٥٨١/٤) بلفظه.

٢) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق/ ح رقم (٩-٢٩٦٣)(٥٨١/٤) .

٣) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع/ باب: (٥٨)، ح رقم (٢٥١٢)(٣٧٩/٤-٣٨٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

٤) مجموع الفتاوى، ١٠ : ٢٧٠.

إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ (١)

فالمؤمن عرضة في هذه الدنيا للابتلاء (٢)، وأذى الناس لا يسلم منه أحد من البشر ما دام هناك اختلاط وتداخل بينهم، فلابد أن يختبر المؤمن تمحيصاً لدينه واختباراً لمدى قوة إيمانه، ويقينه ، فمن الناس القوى النقي، الصابر المثابر، الذى تزيده الفتن صفاءً، ويصقل التمسك بالخير قلبه، ويزكى نفسه، ويعبد في طريق الله مسلكه، ومن الناس الضعيف المتزلزل الذى لا يثبت عند فتنته ولا يصبر في محنه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" (٣).

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مسلماً بما قدره الله مما لا حيلة له فيه، ولا قدرة له على دفعه، فيصبر على حقد الحاقدين وحسد الحاسدين، متوكلاً على الله – عز وجل – مستشعراً لعظمته – سبحانه – موقناً بأن النفع والضر إنما هو من الله وحده، وأنه كما جاء في الحديث: وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ" (٤)، وليعلم علم اليقين أن الله – عز وجل – يربى عباده على السراء والضراء والنعمة والبلاء فلا يكون ممن عنتهم الآية الكريمة : وَمِنَ

---

١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

٢) مصداقاً لقول النبي–ﷺ– فيما يرويه عنه **سعد بن أبي وقاص–رضى الله عنه– قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءَ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه من خطيئة** (أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد/ باب: ما جاء في الصبر على البلاء، ح رقم (٢٣٩٨)(٤/٣٢٨) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب: الفتن/ باب: الصبر على البلاء، ح رقم (٤٠٢٣)(٣/٤٢٧) بلفظه).

٣) أخرجه مسلم في كتاب: القدر/ باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ح رقم (٢٦٦٤)(٤/٣٥٦-٣٥٧) .

٤) الحديث صحيح، تقدم تخريجه، ص: ٤١

ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ (١).

فكم أحسن قوم ضحوا وجاهدوا، ولم ينالوا جزاء ما قدموا، لأن الحسد والحقد جعل الناس يتنكرون لهم، ولا يعرفون فضلهم، وكم من قوم دعوا إلى الحق، واستمسكوا به، ودافعوا عنه، فوقف الحاسدون في طريقهم، وأعداؤهم في أمن وعافية، بل في ترف ونعيم.

وقد أثنى النبي – ﷺ – على من اختلط بالناس وجاورهم وصبر على أذاهم، وفضله على من لم يصبر ولم يتحمل ما ينال من سوء خلق الذين آذوه أو شتموه أو حسدوه.

فَعَنْ عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله– صلى اله عليه وسلم – : "الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ" (٢).

وعليه، فمن أعظم أسباب ووسائل الوقاية والاحتراز من الحسد أن يواجه المحسود إيذاء الحسدة والحاقدين ، بزرع الصبر في قلبه، وتحمل أذى أولئك الضعفاء الذين أحرقت نار الحسد قلوبهم.

ولنا في هذا السياق أن نذكر صبر سيدنا يوسف – عليه السلام – وقد ابتلى بحسد اخوته له حيث قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ (٣)، فحسدوهما على تفضيل الأب لهما؛ ولهذا قال يعقوب ليوسف: لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ (٤) ثم إنهم ظلموه بتكلمهم في قتله " (٥)، فرموا به في مجاهل الأرض دون رحمة أو هوادة، ونتج عن هذا الإلقاء تلك المتاعب الجمة التي تعرض لها يوسف– عليه السلام – من البيع رقيقاً كما يباع المتاع، ومن تعرضه لفتنة امرأة العزيز، ورميه بالسجن بضع سنوات، وما تبع ذلك من قلق نفسى وألم بدنى مر بيوسف عليه السلام، وكان الظن أن ينتقم يوسف

---

٣) سورة الحج، الآية: ١١.

٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب المغرد، ح رقم (٣٩٠)(ص:١٠٧) مثله ، والترمذي في كتاب: صفة القيامة والرقائق/ باب: (٥٥)، ح رقم (٢٥٠٧)(٤/٣٧٧-٣٧٨) واللفظ له، وابن ماجة في كتاب: الفتن/ باب: الصبر على البلاء، ح رقم (٤٠٣٢)(٣/٤٣١) مثله، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٢: ١٤٠) رواه ابن ماجة بإسناد حسن عن ابن عمر.

٣) سور يوسف، الآية: ٨.

٤) سورة يوسف، الآية: ٥.

٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠: ٢٧٠.

لنفسه من إخوته بعد أن يظفر بهم أو يعاملهم – على الأقل – بمثل ما عاملوه به... لكنه عليه السلام قابل إساءتهم بالإحسان... فزاد كيلهم، ورد ثمن بضاعتهم وأمن وفادتهم، ثم انظر إليه بعد أن عرفهم بشخصه، وذكرهم – بإجمال – بما فعلوه به وبأخيه قابل إساءتهم بالصفح والإحسان وخاطبهم قائلاً: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ (١).

وبهذا الصبر على الإيذاء يعيش المؤمن طاهر القلب صابراً محتسباً متحملاً، لا يشكو ولا يتسخط، ولا يدفع المكروه بالمكروه، ولكن يدفع السيئة بالحسنة، ويعفو ويصفح ويصبر، ومتى عرف الحاسد ذلك طاب قلبه، وأحب المحسود، وذلك يفضى آخر الأمر إلى زوال العداوة والبغضاء، والحقد والحسد وغيرها من الآفات المهلكة ، كما قال تعالى: ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٢).

ثانياً: تحصين النفس بالاستعاذة (٣) بالله من شر الحاسد

فلكى يقي المسلم نفسه، ويحترز من الإصابة بالحسد أو يقع تحت خطر العين، ويتخلص من شر شياطين الإنس والجن، ما عليه إلا أن يستعيذ بالله – عز وجل – ويستجير بجنابه – سبحانه – ، ويلتجئ إلى حماه، ويلوذ بكنفه، فهو القادر سبحانه على إعاذته وحمايته من نزغات الشيطان، وكيد الخائنين، وحقد الحاقدين، وحسد الحاسدين.

وقد أرشدت الشريعة المطهرة الأمة الإسلامية إلى وجوب الاستعاذة بالله – تعالى – واللجوء إليه، والفزع إليه في كل ما وقع، وفى كل ما يتوقع من شر، رحمةً بالإنسان وطلباً لسلامته من الإصابة بالحسد أو العين، وتحصيناً متواصلاً من كل شر، فقال – تعالى – : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ (٤).

---

١) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

٣) الاستعاذة لغة: هي الالتجاء إلى الغير والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان: إذا التجأ إليه وتعلق به، ويقال: عاذ به: أي لاذ به واعتصم. (لسان العرب، مادة (عوذ)، ٣ : ٤٩٨)، والاستعاذة اصطلاحاً هي: الالتجاء والاعتصام بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله(مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٥: ١٢٤، ١٧: ٢٨٦).

٤) سورة الفلق، الآيات: ١ : ٥.

ففي هذه السورة أمر النبي – ﷺ – أن يستعيذ بالله من كل شر يتوقى ويتحرز منه ديناً ودنيا فقال: " من شر ما خلق " وجعل خاتمة ذلك " الحسد " تنبيهاً على عظمة وكثرة ضرره، ويراد بشر الحاسد هنا إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره ([1]).

فالاستعاذة بالله – عز وجل – لها شأن عظيم في الاحتراز والتحصن من شر الحاسد وسائر الشرور قبل وقوعها، ولهذا كان النبي – ﷺ – يكثر من الاستعاذة بالله – سبحانه وتعالى– فيقرأ على نفسه بالمعوذتين.

فعَنْ عَائِشَةَ – ﵂ – :" أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا :قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"([2]).

قال النووي – رحمه الله – تعليقاً على هذا الحديث: " وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيهما الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس، والله أعلم " ([3]).

فقد جمعت المعوذات الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن ومن كل شر يتوقع، ولهذا أوصى النبي – ﷺ – أمته بقراءتها عقب كل صلاة وفى كل صباح ومساء استدفاعاً للشرور من الصلاة إلى الصلاة ومن الصباح إلى المساء.

فعنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ :خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ :فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ :" قُلْ " فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ :" قُلْ"،

---

[1]) يراجع: التفسير الكبير، للرازي، ٣٢: ١٩٦ – ١٩٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٠: ٤٧٩، مج ١٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٤: ٥٢٢-٥٢٥.

[2]) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن/ باب: مفضل المعوذات، ح رقم (٥٠١٨)(٥٧٢/٣) ، قوله: (ينفث) أي ينفخ نفخاً لطيفاً أقل من التفل (يراجع: ومشارق الأنوار على صحاح الآثار في شرح غريب الحديث،٢ :٣٥، والنهاية، لابن الأثير، مادة (نفث).

[3]) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤: ١٨٣.

فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ :" قُلْ"، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ :"قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" (١).

فقد كان النبي – ﷺ – يكثر من التعوذ بكلمات الله التامات للوقاية من كل شيء يخشى وقوعه وخاصة شر الحسد والعين، فكان – ﷺ – يُعوذ بها الحسن والحسين– رضى الله عنهما – ويخبر بأن هذا التعوذ سنة الأنبياء والصالحين قبله،فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ :كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ :" إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ" (٢).

ولا شك أن هذه التعوذات لها بركتها على أهلها – بإذن الله تعالى – ، فهي إما أن تمنع الشرور والأمراض عنهم ابتداءً، وإما أن تكون دواءً مزيلاً لذلك المرض.

يقول ابن القيم – رحمه الله – : " واعلم أن الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضراً وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه " (٣).

ومما سبق يتبين لنا أنه لكي يتقى المؤمن الحسد، ويتحرز منه، ويدفع شر الحاسد إذا أبان عن حسده وبغى وسعى إلى إزالة النعمة فعليه بالاستعاذة منه بالله – تعالى – ففيها سر عظيم في استدفاع الشرور.

الوسيلة الثالثة: الاهتمام بتلاوة القرآن الكريم وتدبر (٤) معانيه

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب: الأدب/ باب: ما يقول إذا أصبح، ح رقم (٥٠٨٢)(٤/٢١٦٤) مثله سواء، والترمذي في كتاب: الدعوات/ باب: (١١٧)، ح رقم (٣٥٧٥)(٤/٣٨٧) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب: الاستعاذة، (٨/٢٥٠) مثله سواء.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء/ باب: رقم (١٠)، ح رقم (٣٣٧١)(٢/٦٦٠-٦٦١) مثله مع تقديم وتأخير في بعض الألفاظ، والترمذي في كتاب: الطب/ باب: (١٨)، ح رقم (٢٠٦٠)(٤/١٥٩) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الطب النبوي، ص: ١٢٣-١٢٤.

(٤) **أصل التدبر لغةً**: التفكر في دبر الأمور، أي في عواقبها، وما تؤول إليه [النهاية، لابن الأثير، مادة (دبر)] ، **والتدبر في الاصطلاح هو**: الفهم لما يتلو العبد من قرآن وما ينطق به من ذكر ودعاء ونحو ذلك ولو بشكل مجمل، والتأمل في معانيها ومراميها، وأن يقيس المسلم نفسه على ما يتلوه من الأوامر والنواهي ليجد حاله ويعرف تقصيره، وبذلك يستحضر الخشية من الله

إن تلاوة القرآن وتدبر معانيه والتأثر بها من أنجع وسائل الوقاية من جميع الآفات والأمراض؛ فهي حصن منيع لأهله من شياطين الإنس والجن، فلا يخلصون إليهم ولا يحققون مآربهم منهم، ولا ينالونهم بأي أنواع الأذى، كما قال – تعالى– وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ (١).

فعندما يبادر العبد إلى الإكثار من تلاوة آيات الكتاب العزيز، أو الاستماع إليه في تدبر وخشوع، فإن ذلك يجعله يستشعر عظمة الله – عز وجل – وقدرته، فيستسلم له – سبحانه – ويرق قلبه، وترتجف جوارحه، ويوقن بأن الله –تعالى – الذى خلقه هو وحده القادر على أن يحميه ويصونه من كل شر يتوقاه، وبهذا يطمئن القلب وتهون الشدة، ويستحصن الإنسان من عداوة وأذى شياطين الإنس والجان.

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على عظيم فضل تلاوة كتاب الله – عز وجل – ، والمنزلة السامية التي يحظى بها أهلها ، وما يمنحهم الله تعالى من الأجر العظيم ، والعطاء الجزيل، فقال – تعالى – : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ (٢).

وقد جعل الله – عز وجل – تلاوة القرآن وتدبره والتأثر به من أخص صفات عباده المؤمنين فقال – تعالى – : إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ (٣).

وجعله الله – تعالى جلاء القلوب وصفائها ، ودوائها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد العبد له تلاوة واستغراقاً فيه، حفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء، فقال تعالى:يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ

– سبحانه – ويخشع قلبه، وتسكن جوارحه، ويجتهد في الطاعة [شفاء النفس وغذاء الروح، د. أنس أحمد كرزون، دار ابن حزم، بيروت، ط.:٢، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ص: ١٤١].

(١) سورة الإسراء، الآية:٤٥.

(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩–٣٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

جَآءَتكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ (١)، وقال تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ (٢).

فلا شك أن تلاوة القرآن الكريم، وفهم معانيه شفاء لما يعترى النفس البشرية من أمراض وعلل ظاهرة وباطنة، وبخاصة تلك الأمراض التي أصبحت داء العصر في أيامنا، كالاضطرابات النفسية والعصبية، والقلق والكآبة ونحو ذلك، لأن المؤمن يجد الطمأنينة القلبية والراحة النفسية في تلاوته وتدبره وفهمه، ولاسيما إذا كان ذلك في جماعة، فقد ورد عن الرسول – ﷺ – فيما يرويه عنه أبو هريرة – رضى الله عنه – قال: " ... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، ..." (٣).

فمن الواجب على كل مسلم أن يداوم على تلاوة كتاب الله – تعالى – بتدبر وخشوع، لما فيه من تقويم للنفوس واستقامة للسلوك بما يتضمنه من عقيدة وأخلاق وعبادات ومعاملات، وقصص وآيات اعتبار ونظر؛ ليتحقق له ما يتحقق لأفضل الذاكرين من تنزل السكينة والرحمة والتفاف الملائكة، وكل هذا له أثره البالغ في سمو مكانته وعلو منزلته عند الله – عز وجل – مما يجعله في معية الله – تعالى – يحميه ويقيه ويصونه، ويزكى نفسه ويطهرها من أدرانها وخبائثها، بل ويعالجها من ضعف إيمانها.

ولا شك أن ذلك من أعظم وأنجع سبل الوقاية والاحتراز، فهو يحصن القلب ضد همزات الشيطان، فلا يتمكن من بسط نفوذه، أو بث سمومه، فيزداد العبد بذلك إيماناً بالله – عز وجل –ينتصر للمستضعفين، ويجيب المضطرين، أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ (٤) .

ومن أجل ذلك فقد جاء الحث على قراءة سور وآيات تكون بفضل الله – عز وجل – حرزاً من الشياطين والشرور ونحوها، كالفاتحة، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة والمعوذتين.

---

١) سورة يونس، الآية: ٥٧.

٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

٣) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة/ باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر، ح رقم (-٢٦٩٩)(٣٧٩/٤) ضمن حديث طويل،.

٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

فالفاتحة يتلوها المؤمن سبع عشرة مرة في صلواته من اليوم والليلة، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ " هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" (١)، ويقال لها الشفاء؛ لما رواه الدارمي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ" (٢).

ويقال لها الوافية، والكافية؛ لأنها تكفى عما عداها، ولا يكفى ما سواها عنها (٣)

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ القُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي..."(٤).

ولقراءة آية الكرسي فضل عظيم في الوقاية من الإصابة بالحسد أو العين بإذن الله إذا قرأت صباحاً ومساءاً، وذلك لما صح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَكَرَ الحَدِيثَ– ، فَقَالَ :إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ" (٥).

ومن ذلك أيضاً قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، فقد صح عن النبي – ﷺ – أنهما تكفيان من قرأهما من صنوف الشرور فهما سبب لحفظ الله – تعالى – لعبده، ولحجز الشياطين كافة عمن

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن/ باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، ح رقم (٤٤٧٤)(٣/٣٠٣-٣٠٤) ضمن حديث طويل **عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى**.

٢) أخرجه الدارمي في كتاب: فضائل القرآن/ باب: فضل فاتحة الكتاب، ح رقم (٣٣٧٠)(٢/٥٣٨)، قال الألباني في ضعيف الجامع (٤/٨٨): ضعيف ، وأورده ابن كثير في تفسير سورة الفاتحة من حديث عبدالملك بن عمير عن رسول الله – ﷺ – مرسلاً ، ١:١٥١.

٣) يراجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١: ١٥١-١٥٦.

٤) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن/ باب: ومن سورة الحِجْر، ح رقم (٣١٢٥)(٥/١٤٢) واللفظ له ، وقال : حسن صحيح ، والنسائي في كتاب: الافتتاح/ باب: تأويل قول الله –عز وجل– " ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم"، (٢: ١٣٩) مثله، ومالك في الموطأ في كتاب: الصلاة/ باب: ما جاء في القرآن، ح رقم (٣٧)(١/٨٣) مثله، وأحمد في مسنده، ح رقم (٢٠٩٩٣)(١٥/٤٠٥) مثله.

٥) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق/ باب: صفة إبليس وجنوده، ح رقم (٣٢٧٥)(٢/٦١٨).

يقرأهما، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ ([1]) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ" ([2]).

قال الإمام النووي – رحمه الله – في معنى هذا الحديث:" قيل: معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من الآفات، ويحتمل من الجميع " ([3]).

ومع تلاوة هذا الذكر الحكيم بتدبر وخشوع يتجدد في القلب معنى التوحيد الخالص لله – عز وجل – ويمتلأ القلب يقيناً في الله الذى يُسأل وحده، ويُلجأ إليه وحده؛ فهو القادر على حماية عباده المستغيثين به والمستعيذين به من كل شر، ووسوسة، وأذى من الجنة والناس.

الوسيلة الرابعة: الإكثار من ذكر الله تعالى:

فقد أرشد الله – تعالى – عباده إلى الوسيلة التي تحقق لهم الحماية من عداوة شياطين الإنس والجن الذين يقعدون لهم بكل سبيل لصرفهم عن طاعة ربهم، والإيمان به – عز وجل – والتسليم بما قدره – سبحانه – فيقعون فريسة لعذاب القلق والاضطراب، وآلام الجزع والهلع، وشقاء الشك والارتياب، فقال تعالى: " وهو أصدق القائلين: ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ([4]).

فبذكر الله – عز وجل – تحيا القلوب ، وتطمئن وتستيقظ حاسة الخير فيها، وبالغفلة عن ذكر الله – سبحانه – تموت القلوب وتستسلم للهواجس وتستحوذ عليها الوساوس ، نجد ذلك في التشبيه

---

[1]) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث أبو مسعود الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً مع رسول الله –ﷺ– ويقال شهد العقبة ولم يشهد بدراً، وإنما قيل له البدرى لأنه من ماء بدر سكن الكوفة وابتنى بها داراً، (يراجع: أسد الغابة، ٣ : ٤١٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢ :٤٩٠).

[2]) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي/ باب: (١٢) ، ح رقم (٤٠٠٨)(١٤٤/٣) واللفظ له، وكتاب: فضائل القرآن/ باب: فضل سورة البقرة، ح رقم (٥٠١٠)(٥٦٩/٣) مثله، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، ح رقم (٨٠٧)(٥٧٦/١) بلفظه.

[3]) شرح النووي على صحيح مسلم،٦ : ٩١-٩٢.

[4]) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

النبوي الكريم الذى يرويه أبو أَبِو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ" (١).

وعليه، فحياة القلوب ودواؤها تكون بذكر الله – تعالى – وصفاته وآيات رحمته وقدرته، وبهذا يطمئن القلب ويستشعر حلاوة الإيمان، وفى ذلك يقول ابن القيم – رحمه الله – : " الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه شفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى" (٢).

كما نجد التوجيهات النبوية الكريمة تتناول الإنسان في سائر أحواله وفى كل أوقاته لتقدم له ذكراً مصحوباً بالفكر والتحصين فتتحقق له الوقاية من كل الشرور والآفات ومن ذلك ما رواه عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ" (٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:" مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ" (٤).

---

١) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات/ باب: فضل ذكر الله – عز وجل- ، ح رقم (٦٤٠٧)(٤/٢٧٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها/ باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ح رقم (٧٧٩)(١/٥٦٠) بلفظ: " مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه، مثل الحى والميت.

٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم الجوزية، دراسة وتحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الريان للتراث، القاهرة، ط:١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ص: ٦٠.

٣) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب المفرد، ح رقم (٦٦٣)(ص:١٧٦) بنحوه، وأبو داود في كتاب: الأدب/ باب: ما يقول إذا أصبح، ح رقم (٥٠٨٨)(٤/٢١٦٦) بنحوه، والترمذي في كتاب: الدعوات/ باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، ح رقم (٣٣٨٨)(٥/٢٩٤) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

٤) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق/ باب: صفة إبليس وجنوده، ح رقم (٩٢٩٣)(٢/٦٢٤-٦٢٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة/ باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ح رقم (٢٦٩١)(٤/٣٧٦) مثله زاد في آخره " ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ".

وتأتى الأذكار الأخرى عقب الصلوات التي أمرنا الله بإقامتها لذكره – سبحانه – ليبقى المسلم في حماية ووقاية وقته كله، فعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (١) – رضى الله عنه –، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ :" مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ – أَوْ فَاعِلُهُنَّ – ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً، فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ" (٢).

والتأمل في المعاني التي تتضمنها هذه الأحاديث يملأ القلب يقيناً في الله – سبحانه – الذى يتوجه إليه وحده، والذى يُلجأ إليه وحده، ولا ملجأ منه إلا إليه، فنجد الجزاء على هذا الذكر والتسبيح والتحميد والتكبير علاج النفوس المريضة، وصيانة وحماية ووقاية النفوس السليمة من بداية اليوم وحتى نهايته من عداوة شياطين الإنس والجن.

وبقدر إصرار هؤلاء الشياطين على عداوة الإنسان ومحاولة الحاق الأذى به يكون التوجيه النبوي الذى يعين الإنسان على الحماية والصيانة، وعن الحَارِث الأَشْعَرِيَّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بني إسرائيل أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا " فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: "وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ" (٣).

ومما سبق يتضح لنا أن الذكر لله من أنفع وسائل الوقاية من الحسد والإصابة بخطر العين، ومنه حماية وصيانة للإنسان من كل سوء وشر، فيجب على المسلم أن يكثر من ذكر الله – تعالى – فى كل

---

١) هو كعب بن عجرة السالمي، كنيته أبو محمد من بنى سالم بن عوف ، له صحبة من النبي – ﷺ – وقال: مات سنة ست وخمسين، وقيل: مات وهو ابن خمس وسبعين سنة، روى عن النبي – ﷺ – (يراجع: أسد الغابة، ٤ : ٢٤٣، الإصابة: ٣: ٢٩٧).

٢) أخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة/ باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، ح رقم (٥٩٦)(٤٣٣/١).

٣) أخرجه الترمذي في كتاب: الأمثال/ باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، ح رقم (٢٨٦٣)(٥٥٧/٤) واللفظ له، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في مسنده، ح رقم (١٧١٠٤)(١٨٨/١٣) مثله، ح رقم (١٧٧٢٧)(٥٠٢/١٣)، والطبراني في التكبير، ح رقم (٣٤٢٧)(٢٨٥/٣) مثله، وصححه الحاكم في المستدرك (١١٧/١)، ووافقه الذهبي في التلخيص.

وقت وحين، بقلب خاشع فيه تضرع وخشية ورغبة ورهبة، وأن يوقن بأن الله – عز وجل – خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، فالذكر سلاح المؤمن وسبيل علوه والسمو به، وكذا علاج لأمراضه وعلله وعثراته.

الخامسة: البعد عن مجالس الحاسدين وتجنب إظهار المحاسن أمامهم

فمن الوسائل الخطيرة التي تؤدى إلى الوقاية من الحسد والإصابة بالعين، هي البعد عن ملازمة الحاسدين ومجالستهم، وتجنب إظهار المحاسن أمامهم، فعندما يجد المسلم نفسه يسير في ركب الحاسدين الضالين المضلين فلابد من تصحيح المسار والعودة إلى طريق السلامة والنجاة.

ولاشك أن الحساد يعرفون من المجالسة والمخالطة، والحديث إليهم، فعلى كل مسلم ألا يجالسهم ، ولا يفشى لهم سراً، ولا يشاورهم، ولا يغره تملقهم له، ولا يظهر محاسنه عندهم.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – : " ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه، كما ذكر البغوي في كتاب: (شرح السنة): أن عثمان بن عفان – رضى الله عنه – رأى صبياً مليحاً، فقال: دسموا نونته لئلا تصيبه العين، ثم قال في تفسيره ويعنى: دسموا نونته أي: سودوا نونته، والنونة: النقرة التي تكون في ذقن الصبى الصغير " ([1]).

وقد ذكر الماوردي للحسد أربع آفات ([2]) منها:

مقت الناس للحاسد حتى لا يجد فيهم محباً، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم ولياً، فيصير بالعداوة مأثوراً، وبالمقت مزجوراً، ولذلك قال النبي – ﷺ –:" شَرُّ النَّاسِ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ"([3]).

ومنها: انخفاض المنزلة، وانحطاط المرتبة لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود.

وهكذا وبفضل تلك الاجراءات الاحترازية يندفع شر الحاسد فلم يترك الإسلام مجالاً للحسد بين أفراده.

---

[1]) الطب النبوي، ص: ١١٧.

[2]) أدب الدنيا والدين، ص: ٢٦٤.

[3]) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ح رقم (١٠٧٧٥)(٣١٨/١٠) ، عن ابن عباس مرفوعاً.

الخاتمة

فذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج هذا البحث

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظيم فضله وإحسانه ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على صفوة خلقه وخاتم رسله ...، وبعد،

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث ، وفى هذه الخاتمة أستطيع – بتوفيق الله – تعالى – استخلاص أبرز النتائج والفوائد التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

أولاً: أن الحسد حقيقة موجودة في طبائع البشر ، وليس من نسج الخيال ، فقد حسد قابيل هابيل ، ومن قبلهما حسد إبليس آدم عليه السلام على نعمة تكريم الله له، وحسد أخوة يوسف– عليه السلام – على نعمة حب أبيهم له.

ثانياً: أن الإسلام بين لنا حقيقة الحسد وأنواعه، وأوجد له بديلاً فأباح الغبطة، وفتح مجالاً شريفاً للمنافسة، ليسد منافذ الحسد ومداخله، لأنه من الأمراض المهلكة، ومن الأعمال الهدامة الخطيرة، التي تقوض بنيان المجتمع وتشتت شمل الأمة وتفرق جمعها.

ثالثاً: أن الحسد والعين متغايران، وقد سبق أن عرفنا الحسد بأنه ليس فقط تمنى زوال النعمة عن الغير بل أيضاً كراهة وبغض هذه النعمة ، وعرفنا العين بأنها نظر باستحسان إلى الشيء، وقد يكون سببه شدة العداوة والحسد وقد يكون سببه الإعجاب، لذلك فالحسد لا يكون إلا من عدو، والعين قد تكون من عدو أو محب، بل قد تكون من الإنسان لنفسه، كما لو أعجب الشخص بماله، أو أولاده، فإن العين قد تصيب هذه النعمة، على الرغم من أنه لا يتمنى زوالها، بل يتمنى بقاءها وزيادتها.

رابعاً: من المؤسف جداً أن انتشر هذا الداء على مستوى الأفراد والجماعات بين الخاصة والعامة، وكل من تجمعهم جامعة عمل واحدة أو حرفة واحدة فأفسد نفوسهم، وملأ بالأحقاد قلوبهم.

خامساً: لخطورة معصية الحسد، وشؤم آثارها على حياة الإنسان فرداً كان أو جماعة فقد جاء الإسلام بتحريمه، وسار في مقاومته والعمل على السلامة منه، والقضاء عليه وما يتولد عنه من آفات ومساوئ على منهجين:

أحدهما وقائي : ويراد بالوقاية البعد كل البعد عن أسباب الحسد وموجبات الوقوع فيه، فيحصن نفسه مثلاً من الجهل والفكر المنحرف بالعلم الشرعي المستقى من كتاب الله وسنة نبيه – ﷺ – ويبتعد عن دواعي وأسباب الأمراض القلبية وبخاصة العداوة والبغضاء فهما من لوازم الحسد، وكذلك الكبر وعدم

الرضا بقضاء الله – تعالى – ، ويحذر كل الحذر من حب الظهور واشتهاء المناصب والأموال، وينأى بنفسه عن الشح والبخل، وهكذا.

أما الشق الثاني: من منهج الإسلام في مقاومة الحسد فهو العلاج: ويراد به المبادرة إلى إزالة آثار الحسد عقب الوقوع فيه، والتردي في هوته.

سادساً: قد اقتصر البحث على سبل الوقاية من الحسد عملاً بمبدأ الدفع أسهل من الرفع ، والوقاية خير من العلاج، ولاشك أن دراسة التدابير الإسلامية الوقائية من الحسد كمرض من الأمراض الباطنية الخبيثة مما يساعد على الاحتراز منه، والتقليل من وقوعه، وكذا يساعد على وضع وسائل وأساليب ومقترحات مبنية على أساس علمي واضح لمعالجته وتطهير النفس وتزكيتها منه.

سابعاً: التأكيد على حكمة التشريع الإسلامي؛ إذ لم يكتف الإسلام بذم الحسد وتحريمه –كما بينا – بل قرر تدابير للوقاية من الوقوع فيه، وهذا هو حكمة التشريع الإسلامي، فإذا حرم شيئاً سد جميع المنافذ التي توصل إليه، وإذا أباح شيئاً سهل جميع الأسباب إليه.

ثامناً: علينا أن نتمسك بتعاليم الإسلام ومبادئه السامية التي رسخها بين أبنائه والتي تجعل المجتمع الإسلامي مجتمعاً مثالياً تسوده روح المحبة والمودة والوئام ، فلا حقد ، ولا بغضاء ، ولا كره ،ولا حسد. فيجب على كل مسلم صيانة نفسه دائماً حتى لا يتمكن داء الحسد منه، فيبعده عن طريق السالكين العابدين، وليعلم أنه لا يصير مؤمناً حقاً حتى يخلو قلبه من الحسد، وتصفو نفسه من دائه ويبتعد عن أسبابه ودواعيه فيحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وأخيراً ، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبلنا في الصالحين ، وأن يستر عيوبنا ، وأن يجبر كسرنا ، وأن يبلغنا مما يرضه آمالنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلي اللهم وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا مُحَمَّد وآله وأصحابه ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

أولاً : التفسير وعلوم القرآن :

١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد مُحَمَّد، دار عالم الكتب، الرياض.

٢- والتفسير الكبير لمفاتيح الغيب، للإمام/ فخر الدين الرازي (. ٦٠٤هـ)، تحقيق: عماد زكى البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط، د.ت.

٣- جامع الأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أ.د/ مُحَمَّد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، ط: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧

٤- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لابن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرازق البكري وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط: ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥- روح المعان في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة/ شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠)، دار الطباعة المنيرية، بيروت – لبنان.

ثانياً : الحديث وعلومه :

١- الأدب المفرد ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري ، حققه ، وعلق عليه : أحمد عبد الرزاق البكري ، دار السلام ، القاهرة ، ط : ٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، دار الوفاء، المنصورة، ط: ١ئن ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: أ.د/ يحيى اسماعيل حلوس.

٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الحديث، القاهرة، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤- تلخيص الجبير (٣/٦٩ - ٧٠): إسناده حسن. طبع المدينة المنورة سنة ١٤٨٤هـ - ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبد الله الهاشم اليماني المدني.

٥- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لابن الأثير ، تحقيق : مصطفى أحمد الباز، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٦- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، دار الفرقان، ط:١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠.

٧- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، خرج أحاديثه : د . مصطفى مُحَمَّد حسين الذهبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

٨- سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق : د . السيد مُحَمَّد السيد ، د . عبد القادر عبد الخير ، وسيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

٩- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى سُورة ، ت سنة (٢٧٩ هـ) ، تحقيق : أحمد مُحَمَّد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .

١٠- السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .

١١- سنن النسائي (المجتبى) لأبي عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

١٢- شرح الأربعين النووية ، مُحَمَّد بن صالح العثيمين ، دار الثريا ، السعودية ، ط: ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م

١٣- شرح حديث " ما ذئبان جائعان " للحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط: ٢، ١٤٠٤هـ.

١٤- شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن على بن خلف عن عبد الملك، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

١٥- شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، حققه وعلق عليه: محمود بن جميل، وخالد بن مُحَمَّد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦- شرح النووي على صحيح مسلم، لمحى الدين أبي زكريا النووي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٧- صحيح سنن أبي داود ، للشيخ / مُحَمَّد ناصر الدين الألباني- رحمه الله - ، ط المكتب الإسلامي ، بيروت

١٨- صحيح سنن الترمذي، للشيخ / مُحَمَّد ناصر الدين الألباني ، بإشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٠٨هـ

١٩- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، حققه : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب مُحَمَّد شمس الحق العظيم أبادى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢١- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لأبي حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، مُحَمَّد فؤاد، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د.ت.
٢٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين على بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط : ٣ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٢٣- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت : ٤٠٥ هـ) ، وبذيله : (التلخيص) للحافظ شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت : ٧٤٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني (ت : ٢٤١هـ) .
٢٥- معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، وبهامشه تهذيب السنن، لابن القيم، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر ومُحَمَّد الفقي، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ، - ١٩٨٠.
٢٦- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، لأبي العباس القرطبي ، تحقيق : محي الدين ديب مستو وآخرون ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط: ٣ ، ١٤٢٦ –٢٠٠٦

ثالثًا : الفقه وأصوله:

١- الإحكام في أصول الأحكام، للحافظ/ أبي مُحَمَّد على بن حزم الأندلسي الظاهري، مطبعة الامتياز، القاهرة.
٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، للإمام / مُحَمَّد بن علي الشوكاني ، مصطفى الحلبي ، ط: ١ ، ١٣٥٦ هـ- ١٩٣٧ م.
٣- التمهيد، لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ط: المملكة المغربية، سنة ١٤٠٧هـ.
٤- جواهر الإكليل، شرح مختصر جليل، للشيخ/ صالح عبد السميع الآبي الأزهري، ضبطه وصححه: الشيخ/ مُحَمَّد عد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥- حاشية ابن عابدين وصححه الشيخ/ علاء الدين مُحَمَّد بن على الحصنكي، لمتن تنوير الأبصار، للشيخ/ شمس الدين ، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبى، دار المعرفة، بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٦- حاشية التنبيه، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، مكتب الحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٧- فتح القدير، للإمام/ الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، مصطفى الباجي الحلبى، مصر، ط: ، ١٣٨٣هـ.

٨- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط: ٤، ١٩٩٧م.

٩- القوانين الفقهية، لابن جزى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٠-والمبدع شرح المقنع، لأبى اسحاق برهان الدين إبراهيم (ت ٨٨٤هـ)، تحقيق: مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١١-مجموع الفتاوى في الإسلام، لابن تيمية، حققه: فريد عبد العزيز، وأشرف جلال الشرقاوي، دار الحديث، د. ط، د.ت.

١٢-المحلى، لابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مكتبة دار التوفيقية، القاهرة، الطبعة الشرعية الوحيدة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٣-مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: عماد عامر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٤-المعونة على مذهب عالم المدينة، للقاضي/ أبى مُحَمَّد عبد الوهاب بن نصر المالكي (ت ٤٢٢هـ)، تحقيق: مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٥- والمغنى مع الشرح الكبير، لابن قدامة المقدسي ، تحقيق: د. مُحَمَّد شرف الدين خطاب، د. مُحَمَّد السيد، دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٥هـ – .

رابعاً : السيرة والتاريخ والتراجم:

١– الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط. دار العلم للملايين.

٢– تقريب التهذيب، للحافظ/ ابن حجر، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٣– تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر العربي، القاهرة.

٤-الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، للشيخين/ مُحَمَّد عزيز شمس، وعلى بن مُحَمَّد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط: ٢، ١٤٢٢هـ.

٥- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، يوسف بن الحسن عبد الهادي، تحقيق: د. عبد الرحمن ين سليمان بن عثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ١، ١٤٠٧هـ.

٦-الديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق: د. مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ط، د.ت.

٧- رجال صحيح مسلم، لأبى بكر أحمد بن على بن منجويه الأصبهاني، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨- سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، إشراف : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: ٢ ، ١٤٠٢ هـ.

٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحى بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٩هـ.

١٠- طبقات الشافعية الكبرى ، السبكي ، تحقيق: محمود الطناحي، وعبدالفتاح الحلو ، طبعة الحلبي ، ١٣٨٣هـ.

١١- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، حققه: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، د. ط.

خامساً : اللغة والمعاجم:

١- الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه ، لأبي عبدالله التلمساني ، حققه : د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط:١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين السيد مُحَمَّد مرتضى الحسيني، د. ط، د.ت، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.

٣- تفسير غريب الموطأ ، عبدالملك بن حبيب ، تحقيق : د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكة المكرمة ، مكتبة العبيكان ، ط: ١ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١ م.

٤- لسان العرب،؛ لابن منظور، مادة (وقى)، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ، والصحاح، اسماعيل بن حماد ، تحقيق: العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: .٣

٥- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام ابن الأثير أبى السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري (ت : ٦٠٦ هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ط : ٣ ، ١٤٢٥ هـ .

سادساً : الثقافة الإسلامية والأخلاق والكتب العامة :

١– إحياء علوم الدين، للإمام/ أبي حامد الغزالي، دار الفكر العربي، طبعة مصورة عن طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية.

٢– أخلاق النبي –ﷺ– في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، دار العزب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٣– بدائع الفوائد، لشمس الدين بن القيم الجوزية، حققه: بشير مُحَمَّد عيون، دار البيان، دمشق، ط: ٢، سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٤– التربية الوقائية في الإسلام، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدرى، جامعة أم القرى ، جدة ، ط: ١٤١٨هـ.

٥–– تهذيب الخلق الكامل، لمحمد أحمد جاد المولى، هذبه: يوسف على بديوي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

٦– الحديث النبوي وعلم النفس، د. مُحَمَّد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط: ٤، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧–– الحصون المنيعة للدفاع عن الشريعة، أ.د/ موسى شاهين لاشين، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٨–حلول لمشكلة الربا، د. مُحَمَّد أبو شهبة، ط: ١، مكتبة السنة، القاهرة.

٩–الخطايا في نظر الإسلام، عقب عبد الفتاح طيارة، دار العلم للملاين، بيروت، ط:١، ١٩٧٩م.

١٠–روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط:٣٣ ، ٢٠٠٣

١١– الطب النبوي، لابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط:١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٢– من بلاغة النبوة، د. عبد القادر حسين، دار التراث العربي، القاهرة، د. ط، د.ت.

١٣– مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، أ.د/ خالد بن حامد الحازمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط: ٢، ١٤٢٦هـ.

١٤–المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام ، مُحَمَّد سيد طنطاوي ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م.

١٥– نظام الإسلام العقيدة والعبادة، مُحَمَّد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط: ١، .١٩٦٨

١٦– نور من القرآن والسنة، عبد الوهاب خلاف، دار الأنصار، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٩٦٨
المقدمة	٩٧٠
الفصل الأول " حقيقة الحسد والعين وموقف الشرع منهما"	٩٧٦
المبحث الأول حقيقة الحسد، أنواعه، بواعثه، موقف الشرع منه	٩٧٦
المطلب الأول مفهوم الحسد في اللغة واصطلاح العلماء	٩٧٦
المطلب الثاني أنواع الحسد ومراتبه:	٩٨٧
المبحث الثاني حقيقة العين وثبوت تأثيرها شرعاً	٩٩٦
المطلب الأول حقيقة العين في اللغة والاصطلاح:	٩٩٦
المطلب الثاني ثبوت العين وتأثيرها والفرق بينها وبين الحسد:	٩٩٧
الفصل الثاني "التدابير الوقائية التي وضعها الإسلام للوقاية من الحسد"	١٠٠٤
المبحث الأول " الوقاية بالبعد عن أسباب الحسد ودواعيه"	١٠٠٤
المبحث الثاني الوقاية بالأخذ بأسباب ووسائل التحرز من الحسد	١٠٢٩
المطلب الأول وسائل التحرز الخاصة بالحاسد:	١٠٢٩
المطلب الثاني وسائل التحرز الخاصة بالمحسود	١٠٣٧
الخاتمة	١٠٥٠
المصادر والمراجع	١٠٥٢
فهرس الموضوعات	١٠٥٨